بحوث ومقالات

فى ذكرى طه حسين

للدكتور ابراهيم مدكور

لا أشك فى أنكم تقدرون معى صنيع جامعة القاهرة وكلية الآداب فى إقامة هذا الحفل العظيم لإحياء ذكرى طه حسين. وتلك سنة لها وزنها، وكم أود أن تصبح تقليدا جامعيا تأخذ به كلياتنا وتسير عليه . وفى من رحلوا عنا من كبار الجامعيين ميدان فسيح للدرس والبحث ، والتحليل والتمحيص. درس نتابع به المسيرة ، ونربط الحاضر بالماضى ، ونعد للمستقبل . ولقد حمل هؤلاء الراحلون الكرام الرسالة ، وأدوا الأمانة ، وعلينا أن نحذو حذوهم ، ونهتدى بهديهم ، ونستمسك بمبادئهم، ونتم مابدءوا.

ومن حسن الطالع أن تبدأ كلية الآداب هذا التقليد بطه حسين ، ومجال القول فيه ذو سعة ؛ فهو أولا مكافح كبير ، قضى حياته فى كفاح متصل ، بدأه فى طفولته وشبابه لكى يعد نفسه لما سيضطلع به من رسالة كبرى فى كهولته وشيخوخته . كافح فى كتاب القرية ، وفى الأزهر والجامعة المصرية القديمة . وتابع الكفاح فى فرنسا . وما إن عاد إلى وطنه عام ١٩١٩ حتى اضطلع بكفاح طويل مرير ، تعددت ألوانه وتنوعت سبله فشمل الصحافة والسياسة ، والأدب واللغة والعلم والتعليم . استعان عليه بسحر الكلمة وسلطان العقل ، وبداهة المنطق . وربما لجأ إلى قارعة أو قنبلة يلقيها ، فتهز المشاعر ، وتستلفت الأنظار ، ولاشك فى أن « كتاب الشعر الجاهلى » من أولى هذه القنابل ، ثم جاءت مجانية التعليم الابتدائى والثانوى فى خاتمة المطاف . وفى كفاحه هذا دروس ما أحوجنا إليها ، وما أجدرنا أن نستذكرها فهو دون نزاع من أقوى الأصوات التى جهرت منذ أوائل العشرينيات فى هذا القرن بضرورة فك الأغلال وتحطيم القيود الفكرية .

اعتد بحرية الرأى وتحكيم العقل . استنكر التسليم المطلق ، ودعا إلى البحث والتحرى بل إلى الشك والمعارضة ، وأدخل المنهج النقدى فى ميادين لم يكن مسلما من قبل أن

(*) ألقيت فى الندوة التى عقدتها كلية الآداب بجامعة القاهرة ١٥/١٠/١٩٧٩ احتفاء بالذكرى السادسة لوفاة الدكتور طه حسين رئيس المجمع الراحل .

يطبق فيها . واتهم فيما اتهم به ، بالإلحاد والخروج على الدين ، وتلك تهمة قديمة كثيراً ماوجهت إلى كبار المفكرين والباحثين ، ويسوءنى أن تردد اليوم فى غير ما نزاهة ولاإنصاف .

وطه حسين جامعى أصيل ، بدأ حياته الجامعية فى الأزهر ، وهو من أقدم الجامعات الإسلامية التى كان لها شأن فى الشرق والغرب وعنه أخذت بعض الجامعات الأوربية العتيدة. ثم تابع السير فى الجامعة المصرية ، وفى جامعات فرنسا وبخاصة فى السربون حيث تتلمذ لكبار أساتذتها المعاصرين ، أمثال دركايم وليفى بريل ، وأفاد من درسهم وبحثهم ، وعول على طرقهم ومناهجهم . وكان يؤمن إيمانا إجازماً بالتقاليد الجامعية ، وحاول ماوسعه أن يثبت أقدامها فى جامعة فؤاد الأول الناشئة واستقلال الجامعة فى رأيه مبدأ أساسى ، ولاحياة لجامعة ولاتعليم جامعى بدونه . وقد بذل فى سبيل تثبيته مابذل ، وأعانه على ذلك لطف السيد مدير الجامعة حين ذاك ، وقد كان أستاذه وراعيه منذ البداية .

وفى وسعنا أن نقرر أن العقد الرابع من هذا القرن كان من أزهى عصور جامعة القاهرة تأكد فيه استقلالها ، واستقرت شيئا فشيئاً تقاليدها ، وكانت كلية الآداب بوجه خاص رائدة فى وضع هذه التقاليد ، ورمزا حيًّا لهذا الاستقلال ، ورغب طه حسين رغبة أكيدة فى أن تكون آداب القاهرة على غرار كليات الآداب فى الدول العظمى : يزود طلابها بزاد وفير ، ويعدون إعداداً كاملا للدرس والبحث ، ويلمون باللغات القديمة شرقية كانت أو غربية الى جانب تمكنهم من لغتهم العربية وإجادتهم للغة حديثة على الأقل . وكان يرى أن العلم لاوطن له وأن الثقافة الإسلامية إبان نهضتها قامت على الأخذ والعطاء . ولذلك سعى سعياً حثيثاً فى أن يوفد إلى الخارج من أبناء كلية الآداب أكبر عدد ممكن لكى ينهلوا من حياض العلم والمعرفة ، وقد تابع الرعيل الأول من هؤلاء الموفدين السير وحمل الأمانة فى الجامعة وخارجها ، وما نشكو منه اليوم من فقر أو نقص فى التخصصات المختلفة إنما يرجع إلى أنا لم نلتزم هذه السياسة. ولم يقنع طه حسين بمن أوفد من بعوث ، بل حرص على أن تحظى كليته بكبار المتخصصين الأجانب فى الدرسات الإنسانية على اختلافها دعاهم لإقامة طويلة أو لزيارة مؤقتة . وما كان أشبه كلية الآداب حين ذاك بمؤتمر أدولى يجمع بين المصرى والأجنبى الفرنسى والإيطالى ، بين الإنجليزى والألمانى ويبدو أننا أصبحنا لانرحب بهذا التبادل ولا نشجع عليه ، وما أحوجنا إليه بالقدر الذى تستمسك به الجامعات الكبرى فى أوربا وأمريكا .

وطه حسين أخيراً اشتراكى رائد ، قال بالاشتراكية فى وقت لم يكن الكلام عنها مباحاً ولا مسموحاً به ، وكان لكتابه المعذبون فى الأرض صدى امتد إلى الحياة البرلمانية وأثير حوله ما أثير من سؤال واستجواب ،

ونقد وتجريح ،ولو اتسعت آفاقنا لصفقنا له فى حينه ، وأعددنا العدة لاشتراكية عملية حقة ترعى حقوق الإنسان وتقدسها ، وتحقق متطلباتها ، ولا تزال جملته المشهورة حول مجانية التعليم تردد على الألسن ، ومؤداها أن التعليم كالماء والهواء وينبغى أن يوفر للجميع . وأخشى ما أخشاه أن تكون هذه الحملة قد فهمت على غير وجهها ، وطبقت تطبيقاً غير سليم ، لقد كان طه حسين يريد بالتعليم أن يكون نقيًّا نقاء الماء العذب المعد للشرب وصافياً صفاء الهواء الطلق الصالح للتنفس ، أما أن تكدس الأعداد تكديساً وتملأ الفصول ملئا لا يسمح بإعداد موهبة ولا يعين على خلق طاقة ، فهذا ما لم يقصد إليه طه حسين بحال .

إن لطه حسين جوانب شتى . فهو أديب وقصاص ، باحث وناقد ، رائد من رواد الفكر والثقافة ، لغوى ومجمعى ، عميد ووزير صحفى وسياسى . وله فى كل جانب من هذه الجوانب خلق وابتكار ، وآراء ونظريات ، وأنا على يقين من أنكم ستوفون فى ندوتكم هذه كثيراً من هذه الجوانب ، وتقولون فيها كلمتكم الحقة والمنصفة . وكلى رجاء أن تُجمع بحوثكم ودراساتكم فى كتاب يقدم للناس ، ويفيد منه من لم يشتركوا معنا ومن لم يشهدوا حفلنا .

ولا يفوتنى قبل أن أختم كلمتى هذه أن أتوجه باسم زملاء طه حسين وإخوانه بالشكر الخالص إلى السادة العرب والمستعربين الذى تفضلوا بالاشتراك فى هذه الندوة وصبغها بصبغة دولية ، وهم من عشاق طه ومحبيه الذين حرصوا على أن يعربوا عن آية من آيات الوفاء والتقدير .

والسلام عليكم ورحمة الله .

ابراهيم مدكور
رئيس المجمع

لعب دورا

للأستاذ على النجيمى أصف

هذا أسلوب من أساليب العصر فى العربية ، يجرى فى نظمه على أساليبها وأصول أحكامها ، لكنه يجمع فى طرفيه بين اللعب والعمل معا ، وإنه ليقال مع ذلك فى مقام الجد وإحسان البلاء فى شأن من شئون الحياة . ولسنا نعرف له فى العربية نسبا موصولا ، ولا ذكرا سابقا .

وأكبر الظن أنه نشأ فى بيئة المسرح ، قاله قائل من مخرجى المسرحيات ، إذ كان يوزع أدوار المسرحية على أصحابه من الممثلين والممثلات فيها ، يقول : أنت تلعب دور فلان وأنت تلعبين دور فلانة ، ثم خرج الأسلوب إلى اللغة فى الحياة العامة ، يدرج فيها رويدا وعلى استحياء ، فلم يكن له إذ ذاك ظهير من المسرح يمكن به أن يقتحم غمار الأساليب ، وينبعث بينها فى جوانب الحياة الزاخرة بأوجه النشاط .

ولما أن اشتد عود المسرح ، واتسع له المجال فى دنيا الثقافة ، واستقبله الناس بما هو أهله من الرضا وعرفان المزية — أخذ الأسلوب يخطو فى ركابه ، ويشيع بين دارسى الفنون المسرحية والقائمين عليها والكاتبين فيها ، فراح يدور هنا وهناك فى عالم اللغة ، ويساهم بنصيبه المقدور فى التعبير عن ضروب الأعمال ووضع المقاييس لها ، فنسمع السيد رئيس الجمهورية يقول فى دعوة الولايات المتحدة إلى القيام بنصيب الشريك فى حل قضية الشرق الأوسط : « على الولايات المتحدة أن تلعب دور الشريك فى حل مشكلة الشرق الأوسط » . ولا مانع أن يقول قائل أيضا : لقد لعب قاسم أمين فى قضية المرأة دور الرائد ، ولا أن يقول آخر : لقد لعب طلعت حرب فى اقتصاد مصر دور المؤسس ، وهكذا .

لكن بعض السادة المجمعيين لا يرضى عن هذا الأسلوب ، ولا يرى أن يمضى كغيره من محدثات الأساليب الصالحة ، ويرى إذا لم يكن بد منه أن يستبدل بلفظ اللعب فيه لفظ من مادة الأداء ، فيقال : أدى أو يؤدى فلان دوره ، غير أن أصحاب الأسلوب قد ألفوه ، وسكنوا إليه كما هو ، ولا أعلم أنهم رغبوا أو يرغبون إلى أحد أن يجيئهم بلفظ غير لفظ اللعب ليقوموه به . ولا أظن أن ثمة وسيلة يمكن أن يحمل الناس بها على اصطناع لفظ من الأداء ، بدلا من لفظ اللعب .

وحجة منكرى الأسلوب والداعين إلى إهماله — أنه لا يستساغ قوله فى حديث عن شأن له اتصال بالدين ، ولا عن بطل من أبطاله الأبرار ، لما فى لفظ اللعب ومشتقاته من معانى اللهو والفراغ ، وما من متحرج أمين يحرص على أن يضع الأمور فى مواضعها الصحيحة — يقبل أن يزج بهذا الأسلوب فى المقامات الشريفة ، التى تجب لها الصيانة من كل مايشين .

فأما أن فى اللعب ومشتقاته من معانى اللهو واللعب — فأمر لانكران له ، ولا خلاف عليه ، ولكن قبل اليوم إذ الناس غير الناس والحياة غير الحياة . أما الآن فقد تطور معناه وبعدت الحضارة القائمة به عن معناه الأول ، حتى ما يكاد يخطر منه شىء بالبال ، إلا حين ينظر فى أصله وتبيين دلالته :

لقد أصبح اللعب جدا من الجد ، ومطلبا كريما من المطالب التى يتنافس فيها المتنافسون وينزل أبطالها فى الناس منزلة نظرائهم من النابغين فى العلوم والفنون ، ولهم بعد من الشعبية وسعة الشهرة ماليس للآخرين ، وليس اللعب فى تطور معناه والانتقال به من حال إلى حال وحيدا فى هذا ولا هى مزية ينفرد بها فى عالم الألفاظ والأساليب ، ولكن هذه سنة الله فى الحياة عامة ، فما من كائن من خلق الله إلا له نصيب من التحول ، فإذا هو من منبته قريب أو بعيد ، واللغة كائن حى ، تلازم المتكلمين بها هبوطاً وارتفاعاً ، تخلفاً وتقدماً ، حتى ما تكاد فى جمهرة الأساليب والألفاظ تلزم حالها الأولى ، وتجمد عليها مدى الحياة ، وإن يكن من ذلك شىء فإلى الهجران والاضمحلال .

لقد كان الصوم فى أصل معناه يعنى الإمساك على إطلاقه ، حتى جعله الأعشى من عمل الخيل حين يمنع عنها الطعام ، فيقول :

خيل صيام وخيل غير صائمـــــة
تحت العجاج وأخرى تعلك اللجما

وهو الآن أخذ من صنع الإسلام به — يعنى الإمساك عن مفطرات بعينها لمدة مقررة من اليوم ، فقد حد الإسلام من شموله وضيق من اتساعه .

وكانت العرب تقول عن الرطبة حين تخرج من قشرتها : قد فسقت الرطبة والله تعالى يقول : (وإذ قلنا للملائكة اسجدو الآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه) ، فلا يفهم الناس من قول الله فى الآية (ففسق) سوى أن إبليس خرج على طاعة الله حين أمره أن يسجد لآدم مع الساجدين . أما الرطبة وقشرتها وبقاء الرطبة فيها أو خروجها منها فمما لايخطر بالبال .

ونحن الآن نقول كما كانت العرب تقول : أخذ الشىء برمته ، إنعنى به أنه أخذ الشىء كله ، لم يدع منه ولا من متعلقاته شيئا ، والرمة : قطعة من حبل تكون فى عنق البعير ، وإنما قالت العرب عنها

أول ماقالت فى رجل كان له بعير فى عنقه رمة ؛ فلما باعه ترك الرمة فى عنقه ، فقالوا عنه : قد دفع البعير برمته ، فهل يخطر ببالنا اليوم حين نقول هذا : الأسلوب خاطر عن الرمة أو البعير ؛ أو عن تركها فى عنقه أو تجريده منه ؟ لا بل إنى لأعتقد أن الذين يعلمون نشوء هذه الأساليب لايخطر ببالهم حين يقولونهاشيء من صورها ولا المناسبات التى نشأت فى أحضانها ، لأن المقام إذ ذاك مقام تعبير وإفهام ، لامقام شرح وتبيين .

وأعتقد كذلك أن مخـــرج المسرحية لايخطر بباله شيء من معانى الهزل والعبث حين يقول لممثل ممن معه : ستلعب دور البطـــل فى مسرحيتنا هذه مثلا ، ولا أعتقد أن الممثل حين يسمع كلام صاحبه يمكن أيضا أن يخطر بباله شيء من ذلك ، لأن المخرج صاحب عمل يعنيه أمره ، وقد اختار الممثل لأدائه ، هو إذن واثق يترقب ، وصاحبه شاكر يقدر ، وإنه ليعلم أنه مقبل على عمـــل لن ينال ما يطمع فيه من نباهة الذكر ، وإشراق المستقبل إلا إذا هو بذل أقصى الجهد فى إتقانه والصدق فى أدائه . وهيهات مع هذه المشاعر أن يتطرق إلى ذهنه أو ذهن المخرج من شيء معانى اللهو والعبث .

إن الألعاب الرياضية اليوم تلاقى فى ظل الحضارة القائمة — مثل ما يلاقى كل عمل كبير له فى الحياة العامة مقام معلوم ، وذكر مرفوع ؛ فالناس على اختلاف منازلهم وتعدد طوائفهم لهم بها حفاوة ولهم عليها إقبال . وهى اليوم قسيمة العلوم والفنون فى التربية يتولى تعليمها فى المدارس معلمون ومعلمات متخصصون ، تخرجوا فى كلياتها ، وأعدوا لها إعداد علميا عاليا ولمن يستطيع منهم أن يمضى بعد التخرج يطلب الماجستير والدكتوراه .

ولها بعد مجلس أعلى يتولى أمورها ، ولها فرق شتى تمارسها هنا وهناك فى أرجاء البلاد ، ولكل منها مجلس من المتخصصين فيها والمقدرين لها والعاملين عليها . يرعونها ، ويسوسون أمرها ، ويشاركون فى تنظيم مبارياتها فى أرض الوطن وفى خارجه . والناس حيالها شيع وأنصار . ولفريق كل ناد من نواديها الكبيرة جمهور ينتسب إليه ، ويصفيه الحب والإخلاص ؛ ويحرص مااستطاع على شهود المباريات فى الملاعب أو من التلفزيون ، يفرح له إذا فاز : ويبتئس إذا هزم : صنيع الناس إبان الحرب ، إذ يكون النصر فيها دُولة بين المتحاربين . وتخصص الصحف بعض صفحاتها لكتاب متخصصين ، يتتبعون المباريات ، ويكتبون عنها ، وصفا لها ، وملاحظة عليها ، ونقدا للمتبارين فيها .

ثم تأتى دورة الألعاب الأولمبية لموعدها كل أربع سنوات من قيامها ، فإذا مهرجان

دولى كبير ، يحفل بفنون الألعاب وتتوالى فيه المباريات بين فرق اللاعبين من وفود الدول المشتركة فيه ، وتعيش الدنيا أيامه كلها تتابع أنباءه ، وتشاهد برامجه ، يذيعها القمر الصناعى فى كل مكان من الأرض .

وترى الدولة التى تختار لإقامة الدورة على أرضها أنها قد أوتيت بها مزية عالمية ، تستحق أن تبسط يدها فى الإنفاق على الإعداد لها والتسامى بها—وأن تبذل غاية الجهد لإنجاحها ، وأن تنفق فى سبيل ذلك بلا حساب ، فإن لها منها موسما فاخرا ، تتراءى فيه صور من حياتها تمثل مبلغها من الرقى وشموخ الحضارة وازدهار العلوم والفنون .

وبلغ من مقام الدورة وقوة تأثيرها أنها يمكن أن تكون عقابا للدولة التى تختار لها إذا ماتورطت فى منكر من الأمر ، فيه بغى وعدوان على دولة أخرى ، كما يتنادى العالم الآن لمقاطعة دورة موسكو لعدوان روسيا على دولة أفغانستان .

بقى بعد هذا التطواف البعيد بالألعاب الرياضية أن نسأل : هل من سداد الرأى ، والسواء فى الحكم أن يكون الفصل فى أساليب العربية وألفاظها للأمور التى لها صلة بالدين وأعلامه المقدمين ، فما يصلح أن يقال منها فى هذه الأمور فسائغ مقبول ، وإلا فهو منكر منبوذ ؟

إنه لوصح تطبيق هذا القانون لوجب أن ينفى من اللغة أساليب الغزل والهجاء مثلا ، لكنها ماتزال باقية يقولها الناس اليوم كما قالها سلفهم من قبل ، فيتقبلها الناس بمثل ما يتقبلون به أساليب الفنون الأخرى من الإقرار والتسليم . إن الناس لا يقصرون كلامهم على الأمور التى لها اتصال بالدين ، ولكنهم يقولون فيها وفى أمور الدنيا معها ، ومالا يستساغ فى أمور الدين يمكن أن يستساغ فى غيرها ، وقديما قالو : لكل مقام مقال وإذا كان غير مستساغ أن يقال مثلا : إن القرآن ليفعل بالألباب مثل ماتفعل الخمر ، فقد قاله ذو الرمة فى صاحبته ، يصور آية من آيات الله فى إبداع خلقها . قال :

لها بشر مثل الحرير ومنطق
رقيق الحواشى لاهراء ولانزر
وعينان قال الله كونا فكانتا
فعولان بالألباب ماتفعل الخمر

لقد أتيح للفظ اللعب ومشتقاته من أسباب التحول والانتقال ما لا نعلم أن قد أتيح مثله للفظ آخر من ألفاظ العربية ، فهل يظل كما يرى بعض المتحرجين بغيضا مستكرها ؟ أليس هذا من الغلو الذى لامسوغ له ، ولانفع نرتجيه منه ، فلا على أحد أن يقول مثلا : لعب فلان دورا فى إنهاض البشرية والسير بها قدما إلى الكمال هذا ودورا مفعول مطلق .

على النجدى ناصف
عضو المجمع

❖ ❖ ❖

وزن فُعالة

الدال على نفايات الأشياء ومتناثراتها وبقاياها

للدكتور احمد الحوفى

وردت فى المعاجم اللغوية كلمات كثيرة على وزن فُعالة (بضم الفاء وفتح العين) للدلالة على نفايات الاشياء وبقاياها ومتناثراتها .

ومن الميسور أن نقيس على هذه الكلمات كلمات أخرى كثيرة ، لم تنص المعاجم عليها .

وقد رأيت أن أمهد للموضوع بكلمة موجزة عن القياس فى النحو ، ثم أذكر الكلمات التى استخرجتها من المعاجم ، وبعدها الكلمات التى أقترح إقرارها بالقياس ، لبيان أن وزن فُعالة قياسى للدلالة على نفايات الأشياء ورديئها وما يتناثر منها ويتساقط ، وإن دلت كلمات قليلة جدا من هذا الوزن على معنى آخر هو الخلاصة .

(١) القياس فى النحو

نقل السيوطى عن ابن الأنبارى أن القياس حمل غير المنقول على المنقول إذا كان فى معناه ، وهو معظم أدلة النحو ، والمعوَّل عليه فى غالب مسائله . وقال إن إنكار القياس فى النحو لا يتحقق ، لأن النحو كله قياس ، فمن أنكر القياس فقد أنكر النحو ، ولو لم يجز القياس ، واقْتُصِر على ما ورد فى النقل من الاستعمال لبقى كثير من المعانى لا يمكن التعبير عنها ، لعدم النقل ، وذلك مناف لحكمة الوضع ، فوجب أن يوضع وضعا قياسيا عقليا لا نقليا ، بخلاف اللغة ، فإنها وضعت وضعا نقليا لا عقليا ، فلا يجوز القياس فيها ، ، بل يقتصر على ما ورد به النقل .

ثم ذكر السيوطى أن القياس أربعة أقسام . حمل فرع على أصل . وحمل أصل على فرع . وحمل نظير على نظير . وحمل ضد على ضد[1] .

وفى رأى المازنى وابن جنى أن ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب ، ألا ترى أنك لم تسمع أنت ولا غيرك اسم كل فاعل ولا مفعول . وإنما سمعت البعض فقست عليه غيره ! وقد اشتقت العرب من الأعجمى كما تشتق من أصول كلامهما ، نحو درهمت الخبازى ، أى صارت كالدراهم ، فاشتقت من الدرهم وهو اسم أعجمى .

ومنفعة الاشتقاق لصاحبه أن يسمع الرجل اللفظة ، فيشك فيها ، فإذا رأى الاشتقاق قابلالها أنس بها ، وزال استيحاشه منها ، فهل هذا إلا اعتماد فى تثبيت اللغة على القياس[2] ؟

ولقد عجب ابن جنى ممن يستبعدون الأخذ بالقياس ، وقال إنك لا تجد مختصراً من العربية إلا وهذا المعنى فى عدة مواضع منه . ألا تراهم يقولون فى وصايا الجمع إن ماكان من الكلام على فَعْل (على وزن نهر) فتكسيره على أَفْعُل (بضم العين) مثل كلب وأكلب ، وكعب وأكعب وفرخ وأفرخ . وما كان على غير ذلك من أبنية الثلاثى فتكسيره فى القلة على أفعال نحو جَبَل وأجبال ، وعُنُق وأعناق وعَجْز وأعجاز وضِلَع وأضلاع وكبد وأكباد .

فليت شعرى هل قالوا ليُعْرف وحده ؟ أو ليعرف ويقاس عليه غيره ؟ ألا تراك لو لم تسمع تكسير واحد من هذه الأمثلة ، بل سمعته منفرداً أكنت تحتشم من تكسيره على ماكسِّر عليه نظيره ؟

لا ، بل كنت تحمله عليه للوصية التى تقدمت لك فى بابه ، وذلك كأن يحتاج إلى تكسير الرِّجْز الذى هو العذاب ، فكنت قائلا لا محالة : أرجاز ، قياساً على أحمال وإن لم تسمع أرجازا فى هذا المعنى .

ثم اختتم رأيه بقوله : ومعاذ الله أن نَدَّعى أن جميع اللغة تستدرك بالأدلة والقياس

---

(١) الاقتراح فى علم النحو للسيوطى ٤٥-٥٥

(٢) الخصائص لابن جنى ٣٦٢-٣٧٤ والاقتراح للسيوطى ٥٢

ولكن ما أمكن ذلك فيه قلنا به ، ونبهنا عليه ، كما فعله مَنْ قبلنا ، ممن نحن له متَّبعون ، وعلى مُثُله وأوضاعه حاذون[1] .

(ب) كلمات على وزن فُعالة

رجعت إلى لسان العرب وأساس البلاغة والقاموس المحيط وتاج العروس ، فاستخرجت الكلمات الآتية :

١ ـ البُرادة :

(١) ما يسقط من الذهب والفضة عند بردهما ، وهى السُّحالة .

(٢) سِفْلة الناس .

(٣) قشر البرِّ والشعير ونحوهما .

٢ ـ البُراية :

(١) النُّخامة .

(٢) ما يسقط من الحديد عند برده .

٣ ـ البُضاضة :

الماءُ القليل .

٤ ـ البُقامة :

ما سقط من النادف مما لا يقدر على غزله ، وما يتطاير من النجاد .

٥ ـ التُلاوة : بقية الدين وغيره .

٦ ـ الثُّمالة :

البقية من الطعام والشراب فى البطن .

٧ ـ الجُذامة :

ما يلتقط من التمر بعد ما يصرم ، يلتقط من الكرب .

٨ ـ الجُفافة :

ما ينتثر من الحشيش والقت .

٩ ـ الحُتامة :

ما تبقى على المائدة من طعام أو ما سقط منه إذا أُكل .

١٠ ـ الحُثالة :

(١) ما يتبقى على المائدة من طعام .

(٢) ما لا خير فيه .

(٣) الرديءُ من كل شيء .

١١ ـ الحُسافة :

(١) ما تناثر من التمر الفاسد .

(٢) سُحالة الذهب والفضة .

١٢ ـ الحُشاشة :

بقية الروح فى المريض أو الجريح .

---

(١) الخصائص ٤٣٩/٤٤٢

١٣ ـ الحَفالة :

(١) الحثالة .

(٢) ما رمَّد من عكر الدهن .

(٣) رغوة اللبن .

١٤ ـ الحُكاكةُ :

ما يسقط من الشيءُ عند حكه .

١٥ ـ الحُلاءة :

(١) قشرة الجلد التى يقشرها الدباغ مما يلى اللحم .

(٢) ما يحك بين حجرين ليكتحل به.

١٦ ـ الحُلاتة : نُتافة الصوف .

١٧ ـ الخُثارة :

عكارة اللبن وبقيته ووسخه .

١٨ ـ الخُراشة :

ما يتساقط من الشيء إذا خرش بحديدة ونحوها .

١٩ ـ الخُراطة :

مايتساقط من خرط الحديد أو الخشب ، كالنُّحَاتَة

٢٠ ـ الخُساسة :

(١) القليل من المال .

(٢) عُلالة الفرس .

٢١ ـ الخُشارة :

(١) الرديءُ من كل شيءُ .

(٢) مايتبقى على المائدة .

(٣) سفلة الناس .

٢٢ ـ الخُصاصة :

[١] مايتبقى فى الكرم بعد قطافه .

[٢] الشيءُ القليل اليسير .

٢٣ ـ الخُلالة :

بقية الطعام بين الأَسنان .

٢٤ ـ الخُمامة :

(١) الكناسة .

(٢) ماينتثر من الطعام .

٢٥ ـ الرُّذالة : الرديءُ من كل شيء .

٢٦ ـ السُّباطة :

الكناسة تطرح بأَفنية البيوت .

٢٧ ـ السُّحالة :

مايسقط من الذهب والفضة عند بردهما .

٢٨ ـ السُّفالة : السِّفلة

٢٩ ـ الشُّفافة : بقية الماء فى الإناء .

٣٠ ـ الشُّواية :

بقية قوم أو مال هلك .

٣١ ـ الصُّبابة : بقية الماء واللبن .

٣٢ ـ الصُّفارة : ماذوى من النبات .

٣٣ ـ الطُّفاوة :

ماطفا من زبد القِدْر .

٣٤ ـ العُصافة :

مايسقط من السنبل مثل التبن .

٣٥ ـ العُفافة :

بقية اللبن فى الضرع بعد أن امتص أكثره .

٣٦ ـ العُلالة :

(١) بقية اللبن وغيره .

(٢) مايتعلل به .

٣٧ ـ الغُدارة :

ماأهمل من الشىء وترك .

٣٨ ـ الغُسالة :

مايخرج من الثوب بغسله .

٣٩ ـ الفُسالة :

مايتناثر من الحديد عند ضربه وطبعه .

٤٠ ـ الفضالة :

الفضلة وهى البقية من الماء ونحوه .

٤١ ـ القُراضة :

(١) مايسقط بالقرض مثل قراضة الذهب والفضة

(٢) قراضة الثوب وهى مايقصه الخياط ويلقيه .

(٣) قراضة الفأر وهى فُضالة ماقرضه من خبز ونحوه .

(٤) قراضة المال وهى رديئه وخسيسه .

٤٢ ـ القُرامة :

مايلتزق من الخبز بالتنور .

٤٣ ـ القُشارة :

مايسقط من الشىء عند قشره .

٤٤ ـ القشامة :

مايبقى على المائدة ونحوها مما لاخير فيه .

٤٥ ـ القُطافة :

مايسقط من العنب عند قطفه .

٤٦ ـ القُلامة :

مايسقط من الأَظفار عند تقليمها .

٤٧ ـ القُمامة :

(١) الكُناسة .

(٢) وسخ البيت .

٤٨ ـ الكُدادة : مايبقى فى أسفل القدر .

٤٩ ـ الكُدامة : بقية الشىء المأْكول .

٥٠ ـ الكُرابة : الجذامة .

٥١ ـ الكُسارة :

ماتكسر من الشىء .

٥٢ ـ الكُناسة :

القمامة .

٥٣ ـ المُراقة :

ماانتتف من الصوف أَو من الكلأ القليل .

٥٤ ـ المُراطة :

مايسقط من الشعر عند التسريح .

٥٥ ـ المشاطة :

مايتساقط من الشعر عند الامتشاط .

٥٦ ـ المُشاقة :

مايتساقط أَو يطير من الشعر أَو الكتان عند مشطه .

٥٧ ـ المُصالة :

مايقطر من الحب أَو مايسيل من الأقط .

٥٨ ـ المُضاغة :

مامضغ .

٥٩ ـ المُواصة :

غُسالة الثوب .

٦٠ ـ النُّتافة :

مايسقط من الشعر عند نتفه .

٦١ ـ النُّثارة :

مايتناثر من الشىء عند نتفه وتفريقه

٦٢ ـ النُّحاته :

(١) البُداية .

(٢) مايسقط من الخشب عندالنحت

٦٣ ـ النُّخاعة :

ايخرج من الصدر أَو الخيشوم

٦٤ ـ النخامة :

النُّخاعة .

٦٥ ـ النُّسافة :

مايسقط من المِنْسف عند النَّسْف .

٦٦ ـ النُّسالة :

مايتساقط من الصوف والوبر والريش .

٦٧ـ النُّشارة :

مايسقط من الخشب عند نشره .

٦٨ـ النُّفارة :

(١) الرديء من الشيء .

(٢) بقيته .

٦٩ـ النُّفاضة :

(١) مايسقط من الشيء المنفوض.

(٢) نُفاضة السواك .

٧٠ـ النُّفاية : النفارة .

٧١ـ الهُتامة : مايتكسر من الشيء .

(٣) اقتراح كلمات مقيسة لتأدية المعنى نفسه

أقترح إقرار الكلمات الآتية ، قياسا على نظائرها السابقة ، لتؤدى معانى جديدة تثرى اللغة وتسعف المعبر والمترجم .

وأقترح إصدار قرار بقياسية وزن فُعالة للدلالة على بقايا الأشياء ونفاياتها ورديئها ومايتساقط منها عند المزاولة والمعالجة وهذه الكلمات هى :

١ ـ الاكالة :

مايبقى على الخوان بعد الأكل .

٢ ـ البُناية :

مايتبقى من أدوات البناء بعد البناء كالطوب والرمل والجير .

٣ ـ الثُّمالة :

مايتبقى فى الكوب أو الكأس بعد الشراب .

وهذا لايتعارض وماجاء فى القاموس المحيط : الثمالة والثميلة البقية من الطعام والشراب فى البطن .

٤ ـ الجُرادة :

مايتساقط من العود عند قشره ، أو من الشعر عند نزعه .

٥ ـ الجُراشة :

(١) مايتساقط من الشيء حين حكه وقشره .

(٢) مايتساقط من الجلد حين دلكه.

٦ ـ الجُزارة :

مايتبقى بعد الذبح والسلخ والجَزْر .

٧ ـ الجُلادة :

مايتخلف من تجليد الكتب .

٨ ـ الحُدادة :

مايتبقى من الحداد بعد عمله .

٩ ـ الحُصادة :

مايتبقى فى الحقل بعد الحصد .

١٠ ـ الحُلاقة :

مايتناثر من الشعر عند حلاقته .

١١ ـ الخُبازة : مايتبقى بعد الخبز .

١٢ ـ الخُياطة :

(١) مايتبقى بعد التفصيل والقص والخياطة .

(٢) مايتساقط عند التفصيل .

١٣ ـ الدُّخانة : بقية دخان النار .

١٤ ـ الدُّرامة :

مايتناثر من الأظفار حين قصها وتسويتها .

١٥ ـ الدُّكاكة :

(١) مايتبقى من الشىء بعد دقه وهدمه .

(٢) مايتبقى من الأرض غير مستو بعد تسوية مرتفعها ومنخفضها .

١٦ ـ الدُّكالة :

مايبقى من الطين بعد جمعه باليد والتطيين به .

١٧ ـ الرُّصافة :

البقية بعد عملية الرصف .

١٨ ـ السُّحاقة :

مايبقى بعد السحق والدق .

١٩ ـ السُّلاقة :

(١) مايبقى من اللحم على العظم بعد نزع اللحم .

(٢) مايبقى من النبات الذى قضى عليه البرد .

(٣) مايبقى من الشعر أو الوبر على شىء مسلوق بالماء الحار .

٢٠ ـ الصُّقالة :

مايتناثر من صقل الشىء وجلائه .

٢١ ـ الطُّباعة : بقية الورق والحبر بعد الطبع .

٢٢ ـ الطُّهاية :

(١) البقية بعد طهو الطعام .

(٢) مايرمى من الطعام فى أثناء الطهو .

٢٣ ـ العُجانة :

البقية بعد عجن العجين .

٢٤ ـ العُلافة :

مايتبقى فى المِذْود من علف الدابة

٢٥ ـ الفُتاتة :

مايتبقى من الشيء بعد دقه وكسره .

٢٦ ـ القُراشة :

مايتبقى بعد قطع الشيء وجمعه من هاهنا وهاهنا .

٢٧ ـ الكُسارة :

مايتبقى بعد كسر الشيء .

٢٨ ـ المُسَاحة :

(١) مايتناثر من الشيء حينما يمسح وينظف .

(٢) مايتبقى بعد المسح .

٢٩ ـ المُصاصة :

(١) فضلة الشراب بعد امتصاصه .

(٢) بقية أعواد القصب بعد مصها .

٣٠ ـ النُّجادة :

(١) مايتطاير من القطن أو الصوف عند التنجيد .

(٢) مايتبقى بعد التنجيد .

٣١ ـ النُّجارة :

(١) مايتناثر من النَّجْر .

(٢) مايتبقى بعد النجر من نُحاتة .

٣٢ ـ النُّدافة :

مايتطاير من القطن أو الصوف عند ضربه بالمندف .

٣٣ ـ النُّقالة :

مايتبقى من الأشياء بعد نقلها .

٣٤ ـ النُّكاتة :

مايتساقط من الأكسية البالية عند نقضها لتنزل ثانية .

٣٥ ـ الهُراسة :

مايتخلف من الشيء عند هرسه ودقه .

٣٦ ـ الوُساقة :

مايتبقى من الشيء بعد جمعه وحمله .

أحمد الحوفى

عضو المجمع

ابن عساكر
فى تقدير المؤرخين والباحثين
فى القديم والحديث
للأستاذ محمد عبد الغنى حسن

إن من الوفاء الجميل — وهو من خصائص العرب ومزاياهم — أن تقوم هيئة أدبية علمية كالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بدمشق بالاحتفال بذكرى مرور تسعمائة عام على ولادة الحافظ المؤرخ ابن عساكر .

وليس ابن عساكر ملكا لأهل الشام وحدهم ، ولا لأهل دمشق المحمية بعناية الله . ولكنه ملك للعرب والمسلمين على اختلاف ديارهم ، فإذا قامت سورية بواجبها نحو تكريم حافظ من حفاظها ، وقمة من قممها ، فإنها تجزئ عن العروبة والإسلام فى كل مكان .

وإذا كان ابن عساكر لم يلق الإنصاف الكامل ، والتقدير التام من بعض المؤرخين الذين جاءوا فى أعقابه ببضعة وعشرين عاما — كالإمام أبى الفرج بن الجوزى صاحب « المنتظم » فى تاريخ الملوك والأمم » والمولود ببغداد والمتوفى فيها سنة ٥٩٧ هـ — فإن الدنيا كلها قد أجمعت على حسن تقدير الإمام الحافظ المؤرخ على بن الحسن بن هبة الله ابن عساكر الملقب بثقة الدين ، وأثنى عليه شيوخه وزملاؤه فى الطلب ومعاصروه والذين جاءوا بعده منذ لقى وجه ربه الكريم سنة ٥٧١ هـ إلى يومنا هذا .

ويؤسفنى أن يقف المؤرخ المحدث الكبير ابن الجوزى — وهو من أنبل من أنجبتهم بغداد فى القرن السادس الهجرى — موقف الإنصاف الناقص من عالم دمشق ملأ طباق الأرض علما . حتى لقد كانت ترجمته لابن عساكر فى الجزء العاشر من (المنتظم) المطبوع فى حيدر أباد الدكن موضعا للاستغراب والتعليق من قارئ للنسخة الأصلية المخطوطة من المنتظم ، حيث كتب على هامشها بخط يده : (انظر إلى قلة الإنصاف ؟ يذكر هذا الرجل بهذه الترجمة ولم يخرج

من دمشق أحفظ منه . ويقول : « وكانت له معرفة » وهو أحفظ من مصنف هذا الكتاب وما أظن مصنفه رأى مثله)[1] .

ولايضير ابن عساكر — وهو من هو علما وحفظا ، ودراية بالحديث النبوى ، ومعرفة بالتاريخ ، وصبرا على الدرس ، وثقة فى الرواية ، ونبلا فى الخلق ، وتوفيقا فى التأليف — أن يضن عليه المؤرخ ابن الجوزى بما يستحقه من التقدير ، ويستأهله من صدق التقويم — أو التقييم — فإن أهل الصنعة الواحدة قد يقع بينهم مثل هذا ، وخاصة إذا تعاصروا أو تقارب زمانهم فإن المعاصرة حجاب كما يقولون .

والحق أن المعاصرة لم تحجب فضل مؤرخنا وحافظنا ابن عساكر ولم تطمس فضيلته . فقد بدأ تقدير العلماء له حتى اللحظة التى حث فيها ركابه مرتحلا إلى بلاد الله فى طلب الحديث النبوى ، وكان استهلال ذلك تلك البشارة التى زفها إليه شيخه على بن أحمد بن منصور المالكى المشهور بابن قبيس ، وكان صاحبنا قد عزم على الرحلة ، فقال له شيخه : إنى لأرجو أن يحيى الله تعالى بك هذا الشأن ، فكان كما قال ، وغدت كرامة للشيخ ، وبشارة للحافظ[2]

وإذا كانت مقولة ابن قبيس من نوع البشارة ، فإن عبارة قالها شيخه المحدث أبو الفتح المختار بن عبد الحميد تدل على شدة التقدير له حين قال : (قدم علينا أبو على ابن الوزير — وهو محدث — فقلنا : مارأينا مثله ، ثم قدم علينا أبو سعد بن السمعانى — المحدث وصاحب كتاب الأنساب — فقلنا : مارأينا مثله ، حتى قدم علينا هذا — يعنى ابن عساكر — فلم نر مثله[3] . .)

وماضن واحد من شيوخ ابن عساكر عليه بمدحه وحسن تقديره . وكأنهم التقوا فيه على كلمة سواء ، فهذا شيخه الخطيب أبو الفضل الطوسى يقول عنه : (مانعرف من يستحق هذا اللقب اليوم سواه . يعنى لقب الحافظ) .

أما شيخه محمد بن الفضل الفُراوى راوى صحيح مسلم والمتوفى سنة ٥٣٠ ، والذى كان يلقب بفقيه الحرم لكثرة مقامه به ، فقد روى الحكاية التالية الدالة على فضل ابن عساكر . قال : (قدم ابن عساكر يعنى الحافظ ، فقرأ على ثلاثة أيام . فأكثر وأضجرنى ، فآليت على نفسى أن أغلق بابى ، فلما أصبحنا قدم على شخص ، فقال : أنا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) المنتظم لابن الجوزى حـ١٠ صـ٢٦١
(٢) طبقات الشافعية للسبكى حـ ٧-٢١٧
(٣) طبقات الشافعية حـ ٧-٢١٧
المصدر نفسه صـ ٢١٨

إليك . فقلت : مرحبا بك ، فقال : قال لى فى النوم : امض إلى الفراوى ، وقل له : قدم بلدكم شخص شامى أسمر اللون يطلب حديثى ، فلا تمل منه . قال الحاكى : فوالله ماكان الفراوى يقوم حتى يقوم الحافظ . . .)[1] . والفراوى نسبة إلى فراوة وهى بليدة قرب خوارزم .

وعلى الرغم من الحظ العظيم الذى بلغه ابن عساكر فى العلم والسماع والمدارسة والتصنيف ، لم يكن له حظ من المال والدنيا ، فقد رضى بعزلته ، وقنع بأقباله على العلم وانصرافه عن الناس . وقد تنبه إلى هذه المزية الغريبة فيه معاصره الأديب الحافظ اللغوى أبو العلاء الهمذانى فقال ونقلها عنه معاصرهما الحافظ الحسن بن هبة الله بن صصرى : (أنا أعلم أنه لايساجل الحافظ أبا القاسم — يعنى ابن عساكر — فى شأنه أحد . فلو خالط الناس ومازجهم كما أصنع ، إذن لاجتمع عليه المخالف والمؤالف) . وقال أبو العلاء الهمذانى يوما لصاحبه : أى شىء فتح لابن عساكر ، وكيف بر الناس به ؟ فقلت : هو بعيد من هذا كله . لم يشتغل منذ أربعين سنة إلا بالجمع والتصنيف والمطالعة والتسميع ، حتى فى نزهه وخلواته : فقال : الحمد لله : هذا ثمرة العلم . . ألا إنا قد فتح لنا ماحصلنا به الدار والكتب وبناء المسجد ، ما يقرب من اثنى عشر ألف دينار . وهذا يدل على قلة حظوظ العلماء فى بلادكم).[2]

وتبلغ الشهادة لابن عساكر من شيوخه ورفاقه قمتها عند رفيقه وشيخه عبد الكريم السمعانى صاحب الأنساب ، والذيل على تاريخ بغداد ، وفرط الغرام إلى ساكنى الشام . والمتوفى سنة ٥٦٢ هـ حيث قال عنه عن تجربة وحق : (أبو القاسم — يعنى ابن عساكر — حافظ ، ثقة ، متقن ، دين ، خير ، حسن السمت . جمع بين معرفة المتن والإسناد . وكان كثير العلم ، غزير الفضل ، صحيح القراءة ، متثبتاً . رحل وتعب ، وبالغ فى الطلب ، وجمع مالم يجمعه غيره ، وأربى على الأقران ، ودخل نيسابور قبلى بشهر . .)[3] . وقد نقل العماد الأصفهانى — صاحب خريدة القصر وممن لاقوا ابن عساكر فى دمشق وسمع عليه جزءا من التاريخ الذى صنفه — هذه الشهادة فى الخريدة مع تقديم أو تأخير فى العبارة .[4]

على أن العماد الأصفهانى لم يكتف بأن يسجل فى خريدته ماقاله السمعانى تقديرا لابن عساكر ، ولكنه أضاف إلى ذكرياته معه ، وإلى تدوين بعض شعره إليه وبعض

---

(١) المصدر نفسه ص٢١٩

(٢) معجم الأدباء لياقوت حـ ١٣-٨٤

(٣) تذكرة الحفاظ للذهبى طبع حيدر أباد حـ ٤ -١٣٣٠

(٤) خريدة القصر .تحقيق د شكرى فيصل حـ ١ صـ ٢٧٤

الشعر الذى قيل فيه ، عباراته الخاصة فى تقديره وتقييمه حيث يقول : (هو الحافظ الذى قد تفرد بعلم الحديث ، والاعتقاد الصحيح ، المنزه عن التشبيه ، المحلى بالتنزيه المتوحد بالتوحيد المظهر شعار الأشعرى بالحد الحديد ، والجد الجديد ، والأيد الشديد).[1]

وقد أحاط التقدير والتكريم بالحافظ المؤرخ ابن عساكر أينما حل وارتحل : فهو يلقى المدح والثناء والإقبال والقبول فى كل مكان ينزل فيه ، ويروى السبكى المؤرخ المصرى وصاحب « طبقات الشافعية الكبرى» أنه لما دخل ابن عساكر بغداد أعجب به العراقيون، وقالوا: مارأينا مثله . وكذلك قال مشايخه الخراسانيون حين دخل خراسان[2] .

وأذا كان هذا التقدير الكريم قد زف إلى ابن عساكر نثرا من معاصريه شيوخا ورفقاء، فإن الشعر قد شارك فى تقديره بمرثية جليلة حارة قالها يوم وفاته معاصره وبلديه الشاعر المطبوع « فتيان الشاغورى » المعلم المتوفى بدمشق سنة ٦١٥ هـ ، وهى — إن لم تكن فى مخطوطة ديوانه الذى حققه أديب سورى كريم والذى اختار شعره وجمعه ابنه سنة ٦٢٣ هـ — فقد أثبتها صاحب الخريدة فى ختام ترجمته لابن عساكر. وقد علق عليها العماد بأنها مشتملة على حقيقة ابن عساكر وطريقته ووفائه ووفاته[3] وفيها يقول الشاعر فتيان :

يا أبا عُذْر كلُّ معنى دقيق
جـــل قدراً كالدرة العذراء
صبرُنا يابن بجدة العلم أمسى
عنك مستصعبا شديد الإباء
علماءُ البلاد حُلتْ حباها
لك يامن عم الورى بالحباء
ما عسى أن نقول فيك وقد فا
تت أياديك جملة الإحصاء؟
أنت أعلى من أن تحد بوصف
بلغتـــه بلاغـــة البلغـــاء
أنت أولى بأن ترثّيك حتى
يبعث الخلق ألسنُ الشعراء

ويقول فى مطالع القصيدة واصفا علمه وحفظه لحديث رسول الله وأسماء رجاله :

كان ناديه كالرياض إذا ما
ضحك النور عن بكا الأنداء
كان حبرا يقْرى مسامعنا من
أسود الحبر أبيض الآلاء

---

(١) المصدر السابق صـ٢٧٦
(٢) طبقات الشافعية الكبرى للسبكى حـ ٧ صـ ٢١٧
(٣) خريدة القصر - حـ ١ صـ٢٧٨

كان بحرا من علم فيه حباهُ
باللآلى الأنيقـــة اللألاء
كان من أعلم الأنـــام بأسما
ء رجال الحديث والعلماء
فهى من بعد فى المهـــارق كالأ
فعال إذ عُرِّيت من الأسماء
كان من وصمة التغير والتصحـ
يف أمنـــا لخابط العشواء
كان فى دينه قويـــا قويما
ثابتا فى الضراء والسراء

* * *

هذا مؤرخنا وحافظنا ابن عساكر فى نظر معاصريه من رجال القرن السادس الهجرى الذى توفى صاحبنا فى أول العقد السابع منه . فإذا ما فتحنا عيوننا على القرن السابع رأينا ياقوتا الحموى — ولا أقول الرومى — صاحب المعجمين : الأدباء والبلدان والمتوفى سنة ٦٢٦ هـ يخصه بترجمة طويلة تبلغ بضع عشرة صفحة . ولا يبدى ياقوت رأيا شخصيا له فى ابن عساكر وحفظه وتاريخه ، ولكنه ينقل ترجمته ونتفا من أخباره عن جماعة منهم ولده الحافظ بهاء الدين القاسم بن عساكر ، والسمعانى صاحب الأنساب ، والعماد صاحب الخريدة وغيرهم ، ولكن ياقوتا يمتاز بأنه جمع من أسماء كتب ابن عساكر مالا نصادفه فى مصدر آخر كثرة وتنوعا . ولم يبد ياقوت رأيه فى ابن عساكر إلا حين تحدث عن شعره فقال إنه كان (يقول شعراً ليس بالقوى . وسمعه تاج الدين أبو اليمن زيد بن الحسن الكندى النحوى اللغوى : فقال : هذا شعر أضاع فيه صاحبه شيطانه . . .)[1] وروى ياقوت نقلا عن السمعانى المقطعات الثلاث : اللامية الساكنة ، والتائية ، والنونية . أما أما العينية اللزومية التى مطلعها :

ما خلـــت حاجـــاتى إليـــ
ـــك وإن نأت دارى مضاعه

والتى بعث بها إلى العماد معاتبا على تركه إنفاذ كتاب « دلائل النبوة » للبيهقى إليه ، فقد سجلها العماد بالطبع فى خريدته كما سجّل البائية التى هنأ بها الملك نور الدين زنكى بدخوله[2] مصر سنة ٥٦٤ هـ . أما المقطوعة اللامية المكسورة فقد أوردها ابن خلكان فى «الوفيات» وقد حكم الحافظ ابن المفضل المقدسى المتوفى سنة ٦١١ هـ لابن عساكر بأنه أحفظ من معاصريه : ابن ناصر ببغداد . وأبى العلاء الهمذانى ، وأبى طاهر السِّلَفى)[3]

أما الحافظ عبد القادر الرهاوى — المتوفى سنة ٦١٢ هـ فقد شهد لابن عساكر بأنه أحفظ من الهمذانى ، والمدينى ، والسلفى[4] .

---

(١) معجم الأدباء طبعة د. فريد رفاعى — جـ ١٣ صـ٨٦
(٢) الخريدة — جـ ١ صـ٢٧٧
(٣) طبقات الشافعية ٧/٢٢٠
(٤) الدارس فى تاريخ المدارس للنعيمى جـ ١-١٠١

ولا تخرج شهادات بقية رجال القرن السابع الهجرى عن تقديرهم لابن عساكر ولحفظه لحديث رسول الله مع الثقة والتدين ولمكانته فى التاريخ ،وعلى رأس هؤلاء العلماء المنصفين ابن النجار الحافظ المؤرخ المتوفى سنة ٦٤٣ هـ . وهو صاحب ذيل تاريخ بغداد ،ومن تقديره لابن عساكر قوله عنه :(هو إمام المحدثين فى وقته ،ومن انتهت إليه الرياسة فى الحفظ والإتقان والمعرفة التامة بعلوم الحديث والتقية والنبل ، وحسن التصنيف والتجويد وبه ختم هذا الشأن)[1]، وزكى ابن النجار تقديره بحكاية تدل على قوة الحافظة عند ابن عساكر .ومنهم المؤرخ ابن الدبيثى صاحب الذيل على تاريخ السمعانى المذيل على تاريخ بغداد والمتوفى سنة ٦٣٧ هـ وقد أثنى كثيراً على ابن عساكر ومدحه. ومنهم المؤرخ أبو شامة صاحب كتاب «الروضتين» والمتوفى سنة ٦٦٥ هـ ورأيه جيد فى صاحبنا. وسبط ابن الجوزى المتوفى سنة ٦٥٤ هـ وهو صاحب كتاب «مرآة الزمان» المطبوع فى حيدر أباد الدكن ، وليس له رأى خاص أو تقدير معين لابن عساكر ولكنه اكتفى بأن ينقل كلام جده ابن الجوزى ويزيد عليه ترجمة وجيزة نقلها عن صاحب «الخريدة» وعن القاسم ولد ابن عساكر . ومنهم المؤرخ الحافظ محيي الدين النووى صاحب «تهذيب الأسماء واللغات» ، و «رياض الصالحين» والمتوفى سنة ٦٧٦هـ، ومن كلامه عن ابن عساكر :(هو حافظ الشام، بل هو حافظ الدنيا، الإمام مطلقاً الثقة الثبت)[2].ومنهم المؤرخ ابن شداد صاحب الأعلاق الخطيرة ؛ الذى حققه صديقنا المرحوم الدكتور سامى الدهان ، والمتوفى سنة ٦٨٤ هـ . وليس له فى ابن عساكر رأى خاص ولكنه ينقل كثيرا عن كتابه العظيم فى تاريخ دمشق . ويشترك ابن خلكان المتوفى سنة ٦٨١ هـ مع ياقوت الحموى فى أنهما أدق وأكثر مؤرخى القرن السابع تقديراً لابن عساكر ، وأضبطهم ترجمة له . وما أدق صاحب وفيات الأعيان — أعنى ابن خلكان — وهو يقول عن ابن عساكر (كان محدث الشام فى وقته ، ومن أعيان الفقهاء الشافعية ، غلب عليه الحديث فاشتهر به ، وبالغ فى طلبه إلى أن جمع منه ما لم يتفق لغيره . ورحل وطوف وجاب البلاد ولقى المشايخ . . . . وكان حافظا دينا جمع بين المتون والأسانيد . . وصنف التصانيف المفيدة ، وخرج التخاريج . وكان حسن الكلام على الأحاديث ، محظوظا فى الجمع والتأليف . صنف «التاريخ الكبير»

---

(١) طبقات الشافعية ٧-٢١٨

(٢) المصدر السابق ٢١٩

(٣) المصدر نفسه ص ٢١٩

لدمشق فى ثمانين مجلدا أتى فيه بالعجائب وهو على نسق تاريخ بغداد[1]

ولن ندع القرن السابع أو نودعه دون الإشارة إلى رأى العلامة عبد العظيم المنذرى حافظ مصر فى وقته والمتوفى سنة ٦٥٦ هـ وشيخ المؤرخ ابن خلكان ، فقد كان يتذاكر مع تلميذه موضوع التاريخ الكبير لدمشق الذى صنفه ابن عساكر ، وطال حديث الرجلين فى أمر هذا التاريخ واستعظامه . فقال الشيخ لتلميذه : ما أظن هذا الرجل إلا عزم على وضع هذا التاريخ من يوم عقل على نفسه وشرع فى الجمع من ذلك الوقت ، وإلا فالعمر يقصر عن أن يجمع فيه الإنسان مثل هذا الكتاب بعد الاشتغال والتنبيه . وقد صدق التلميذ ابن خلكان على كلام شيخه عبد العظيم معقبا بقوله : (ولقد قال الحق . ومن وقف عليه يعنى كتاب تاريخ دمشق — عرف حقية هذا القول . ومتى يتسع للإنسان الوقت حتى يضع مثله)[2]

* * *

فإذا ما انتقلنا إلى القرن الثامن الهجرى رأينا تقدير العلماء والباحثين لابن عساكر لا يزال قائما لا يفتر ، موصولا لاينقطع ، فنجد اليافعى عبد الله بن أسعد المؤرخ الباحث اليمنى العدنى المتوفى سنة ٧٦٨ هـ يذكره فى كتابه (مرآة الجنان وعبرة اليقظان) ويورد بعض أخباره . كما نجد تاج الدين السبكى المؤرخ المصرى المتوفى سنة ٧٧١ هـ يترجم له ترجمة طويلة وافية فى كتابه الجليل (طبقات الشافعية) بتحقيق الدكتورين الطناحى والحلو ، وهى من أوسع التراجم وأوفاها لابن عساكر . ولم يبعد السبكى عن الحق حين قال عن ابن عساكر : (هو الشيخ الإمام ، ناصر السنة وخادمها ، وقامع جند الشيطان بعساكر اجتهاده وهادمها . إمام أهل الحديث فى زمانه ، وختام الجهابذة الحفاظ ، ولا ينكر أحد منه مكانة مكانه ، محط رجال الطالبين ، وموئل ذوى الهمم من الراغبين ، الواحد الذى أجمعت الأمة عليه ، والواصل إلى مالم تطمح الآمال إليه ، والبحر الذى لاساحل له ، والحبر الذى حمل أعباء السنة كاهله ، قطع الليل والنهار دائبين فى دأبه ، وجمع نفسه على أشتات العلوم لا يتخذ غير العلم والعمل صاحبين وهما منتهى دأبه ، حفظ لا تغيب عنه شاردة ، وضبط استوت لديه الطريفة والتالدة . . . . له «تاريخ الشام» فى ثمانين مجلدة وأكثر ، أبان فيه عما لم يكتمه غيره وإنما عجز عنه . ومن طالع

---

(١) وفيات الأعيان لابن خلكان حـ ١ صـ ٤٢٢

(٢) المصدر نفسه صـ٤٢٢

هذا الكتاب عرف إلى أى مرتبة وصل هذا الإمام)[1] كما يصادفنا المؤرخ الدمشقى الذهبى صاحب « العبر »«وتذكرة الحفاظ »المطبوع فى الهند . والمتوفى سنة ٧٤٨ هـ . وهو يترجم لابن عساكر فى التذكرة فيقول : (الإمام الحافظ الكبير محدث الشام ، فخر الأئمة ، ثقة الدين ، أبو القاسم على ابن الحسن بن هبة الله بن عبدالله بن الحسين الدمشقى صاحب التصانيف والتاريخ الكبير) وهذا كل ما رآه الذهبى فى ابن عساكر أما بقية الترجمة — وهى فى ست صفحات — فكلها نقول عن السمعانى ، وابن الحاجب ، والقزوينى ، وابن صصرى وابن عبد القادر ، والقاسم ولد ابن عساكر . .

ونقل المؤرخ أبو الفداء صاحب المختصر فى أخبار البشر والمتوفى سنة ٧٣٢ هـ بعض ما قاله السابقون عن ابن عساكر وإن كان قد لقبه بـ (نور الدين)[2] والمعروف المجمع عليه أن لقبه (ثقة الدين) ، ولعله تحريف من الناسخ أو الطابع كما حرفت بعض مخطوطات الخريدة لقبه إلى (ثقة الدولة) وكما جاء لقبه فى الأعلاق الخطيرة لابن شداد : (فخر الدين)[3]

وأخيرا نلتقى فى القرن الثامن بالمؤرخ الحافظ ابن كثير المتوفى ٧٧٤ هـ ، وصاحب « البداية والنهاية » فنراه يقيم ابن عساكر بقوله : (أحد أكابر حفاظ الحديث ، ومن عنى به سماعا ، وجمعا وتصنيفاً واطلاعاً ، وحفظاً لأسانيده ومتونه ، وإتقاناً لأساليبه وفنونه) ثم يحكم على كتاب تاريخ الشام بقوله : (صنف تاريخ الشام فى ثمانين مجلدة ، فهى باقية بعده مخلدة ، وقد ندر على من تقدم من المؤرخين ، وأتعب من يأتى بعده من المتأخرين ، فحاز فيه قصب السبق . ومن نظر فيه وتأمله ، رأى ماوصفه فيه وأصله ، وحكم بأنه فريد دهره فى التواريخ ، وأنه الذروة العليا من الشماريخ ... هذا مع ما له فى علوم الحديث من الكتب المفيدة[4]

ولم يتوقف فيض التقدير والإنصاف لابن عساكر فى القرون التاسع والعاشر والحادى عشر الهجرية ، فنجد المؤرخ ابن قاضى شهبة المتوفى سنة ٨٥١ هـ يحمل رأيه فى ابن عساكر قائلا : (فخر الشافعية ، وإمام أهل الحديث فى زمانه ، وحامل لوائهم ، وصاحب تاريخ دمشق وغيره من المؤلفات

---

(١) طبقات الشافعية حـ ٧ ٢١٥ ، ٢١٦

(٢) المختصر فى أخبار البشر : المطبعة الحسينية بمصر حـ ٣ — ٥٩ .

(٣) الأعلاق الخطيرة لابن شداد — تحقيق الدكتور سامى الدهان حـ ١ ص ٢٢٩ .

(٤) البداية والنهاية لابن كثير — حـ ١٢ / ٢٩٤

المفيدة المشهورة)[1] وقد نقل صاحب شذرات الذهب قوله هذا وهو يؤرخ لوفيات سنة ٥٧١ هـ كما نقل ماذكره الرهاوى الذى سبقت منا الإشارة إليه ونحن نتحدث عن قادرى قدر ابن عساكر من رجال القرن السابع . كما نجد ابن تغرى بردى الأتابكى مؤرخ مصر والقاهرة والمتوفى سنة ٨٧٤ هـ يترجم لابن عساكر فى وفيات سنة ٥٧١ هـ فيصفه بأنه (أحد أئمة الحديث المشهورين ، والعلماء المذكورين. سمع الكثير وسافر ، وصنف تاريخا لدمشق ، وصنف كتبا كثيرة ، وكان إماما فى الفنون فقيها محدثا ، حافظا مؤرخا).[2]

أما السخاوى المؤرخ المصرى صاحب « الضوء اللامع لأهل القرن التاسع » والمتوفى سنة ٩٠٢ هـ فقد أشار كثيرا إلى ابن عساكر فى كتابه المشهور « الإعلان بالتوبيخ . لمن ذم التاريخ » واستحسن قوله عن الوقيعة فى الصحابة ، كما استحسن رأيه فى إدخال التقويم الهجرى ، وأشار إلى « تاريخ دمشق » لابن عساكر والذين اختصروه ، كما أشار فى صدق تقدير إلى تناقص العلم بدمشق فى المائتين الرابعة والخامسة ، وكثرته بعد ذلك ولاسيما فى دولة نور الدين وأيام محدثها ابن عساكر والمقادسة — أى أهل المقدس — النازلين بسفحها[3]. وقد ترجم النعيمى صاحب الدارس والمتوفى سنة ٩٢٧ هـ لابن عساكر نقلا عن أبى شامة المؤرخ الذى سبقت الإشارة إليه ، كما نقل بعض ماذكره السمعانى والرهاوى عن ابن عساكر[4]. ولانجد له فى كتابه رأيا خاصا فى ابن عساكر وكأنه اكتفى بالنقل عن غيره وكذلك لانجد رأيا مستقلا لطاشكبرى زاده المتوفى سنة ٩٦٨ هـ وصاحب « مفتاح السعادة » الذى لم يخل من إشارات فى جزءيه إلى مؤرخنا ابن عساكر . ويصادفنا فى القرن الحادى عشر الهجرى مؤرخان اهتما بابن عساكر . أما أولهما فهو كاتب چلبى المعروف بحاجى خليفة صاحب « كشف الظنون » والمتوفى سنة ١٠٦٧ هـ . وكان من الطبيعى أن يتناول حاجى خليفة مؤلفات ابن عساكر مادام يتحدث فى كتابه عن أسامى الكتب والفنون . ومزيته أنه ذكر لنا مختصرات تاريخ دمشق والذيول التى وضعت عليه منذ وفاة صاحبه إلى منتصف القرن الحادى عشر ، وأما ثانى مؤرخى القرن الحادى عشر الذين اهتموا بابن عساكر فهو ابن العماد الحنبلى

---

(١) شذرات الذهب لابن العماد حـ ٤ / ٢٣٩ .

(٢) النجوم الزاهرة ، طبع دار الكتب المصرية حـ ٦ / ٧٧

(٣) علم التاريخ عند المسلمين لروز نتال ، وترجمة د . صالح أحمد العلى الباحث المؤرخ العراقى . ص٦٦٢ . ويشتمل هذا الكتاب على نص كامل للإعلان بالتوبيخ للسخاوى .

(٤) الدارس فى تاريخ المدارس للنعيمى . مطبوعات مجمع اللغة بدمشق ص ١٠٠ ، ١٠١ .

صاحب « شذرات الذهب » والمتوفى سنة ١٠٨٩هـ . واكتفى فى ترجمته لابن عساكر بالنقل عن ابن قاضى شهبة . وعبد القادر الرهاوى ،والذهبي . وبهذا نستطيع أننقول إنه لم يكن صاحب رأى خاص فى مؤرخ دمشق الكبير .

* * *

ويمر القرنان الثانى عشر والثالث عشر الهجريان . فلا نجد ذكراً لابن عساكر فيما نعلمه وما وقع فى أيدينا من مصنفات المؤرخين وبحوث الدارسين . حتى ليقع فى الظن أن الرجل قد أنسى ذكره ،وضاع أثره . ولكن الإسلام بخير ، والعرب بخير . لاينسون رجالهم . ولا يضيعون قممهم ، فإذا بنا فى القرن الرابع عشر نلتقى بحافظنا ومؤرخنا ابنعساكر ونستأنف المذاكرة معه فى كتب ودراسات عنه لجورجى زيدان ، ومحمد كرد على ، والدكتور صلاح الدين المنجد ، والمرحوم دكتور محمد سامى الدهان ، والشيخ عبد الحسين الأمينى صاحب « الغدير » ، وخير الدين الزركلى ، وعمر رضا كحالة ، والدكتور محمد زغلول سلام ، والباحث العراقى كوركيس عواد ، وعيسى إسكندر المعلوف أبى الشعراء الثلاثة : فوزى وشفيق رحمهما الله ،ورياض بورك فى عمره ، ومحمد أحمد دهمان ،والمرحومين الدكتورين مصطفى زيادة ، وأحمد أحمد بدوى . وتختلف هذه الدراسات مابين تقديم لمصنف من مصنفات ابن عساكر التى تطبع ،أو فصل من كتاب ، أو بحث فى مجلة. على أننا لم نقع على أوفى وأشمل مما كتبه الدكتور صلاح الدين المنجد فى مقدمته الموسعة للمجلدة الأولى من تاريخ دمشق الذى بدأ مجمع اللغة العربية بدمشق ينشره نشرا علميا محققامنذ سنة ١٩٥١م ، وظهر منه المجلد الأول والقسم الأول من المجلد الثانى بتحقيق د. صلاح الدين المنجد . وكأن المنجد الوفى لم يكتف بما كتبه عن ابن عساكر فى مقدمته لتاريخ دمشق، فكتب فصلا عنوانه : (المؤرخون الدمشقيون وآثارهم المخطوطة — من القرن الثالث الهجرى إلى نهاية القرن العاشر) فى الجزء الأول من المجلد الثانى من مجلة معهد المخطوطات العربية ، مايوسنة ١٩٥٦ ، وترجم للرجل ترجمة وجيزة فى أسطر معدودة نقلها عن القدماء ، وتحدث عن تاريخ دمشق وعن مخطوطاته التى عثر عليها بعد مادونه فى تقدمته الجليله ، وأشار فى ختام الفصل إلى تهذيب الشيخ عبد القادر بدران الحنبلى لتاريخ ابن عساكر ، ووصف هذا المهذب المنشور منه سبعة أجزاء بأنه (لا يمكن الاعتماد عليه فى الدراسات العلمية ، لأنه بعيد عن الأصل فى أشياء كثيرة . .[1]

---

(١) مجلة معهد المخطوطات العربية . مجلد ٢ ج ١ مايو سنة ١٩٥٦ ص ٨٤ .

أما ماكتبه صديقنا وأستاذنا المرحوم العلامة محمد كرد علي فى كتابه : « كنوز الأجداد » الصادر عن المجمع العلمى العربى بدمشق سنـــه ١٩٥٠ فيعـــد نمطاً فريداً فى الترجمة للحافظ المؤرخ ابن عســـاكر ، وبه بلغ بسلسلة الترجمة للرجل إلى قمة عالية . فقد جال فى الصفحات الثمانية التى تحدث فيها عن مؤرخنا وحافظنا فى نشأته ورحلاته وشيوخه ، وحفظه ، وبناء الملك العادل نورالدين زنكى دارالحديث النورية له ، وصدقه النصح للملكين نور الدين وصلاح الدين الأيوبى ، ودالته على هذا الأخيرحين لامه على إفراطه فى الحلم ، ومصنفاته وعلى رأسها تاريـــخ دمشق ، واعتماده على النقـــل والعقـــل معاً ، وعنايته بحل المشاكل ومناقشتها بعيداً فى الجملة عن تعصب أهل مذهبه ، وقربه إلى الاجتهاد أكثر منه إلى الجمود والتقليد ، وشخصيته القوية التى تكونت فيه من أمـــانة المؤرخ وصـــدق المحـــدث ، وشعـــره الذى كان يختم به دروسه ، فهو شعر الفقهاء على حين كان نثره أرقى ماكتب فى عصره ، فإذا ترك السجع ، وترسل كان رصفه من الجيد البديع . ولفتت نظر كرد على ظاهرة اشتهار ابن عساكر فى حياته بالحديث ، واشتهاره بعد مماته بالتاريخ . وعاد كرد على إلى تاريخ دمشق لابن عساكر يقدره ويقيمه ، فقد (يستغنى الناس عن كتاب لأن فى غيره مايشبهه أو يقرب منه ، ولكن تاريخ دمشق لاغنية لكل مهذب عن النظر فيه ، واتخاذه جليسه وسميره ، والاعتماد عليه فى الوقوف على تراجم من كان لهم شأن فى هذا المجتمع) ، وتنبه علامتنا كرد على إلى ازدحام تاريخ ابن عساكر بالأسانيد ، وتحلية مؤلفه له بالشعر الكثير والاستطرادات المـــلائمة ترويحاً لنفوس قارئيه وإبعاداً لهم عن الملل ، فكان بذلك مؤرخاً فناناً يحسن التأثير فى قلب سامعه[1] . .

ولم يفت صديقنا المرحوم الدكتور سامى الدهان ــ وهو يقدم لتحقيقه لكتاب « الأعلاق الخطيرة » لابن شداد ــ أن يتحدث عن مؤرخى دمشق قبل ابن عساكر ، وعن تاريخه العظيم الذى نقل فيه كل ماكان فى تواريخ دمشق قبله وخص فيه خطط دمشق بمجلدة نافعة[2] . ويظهر أن سامى ، الدهان لم يكن راضيا عما طبع من تاريخ دمشق لابن عساكر ، فقال :(ولو بلغ إلينا على صحة ودقة كما تركه مؤلفه لكان

---

(١) كنوز الأجداد لمحمد كرد على . مطبوعات المجمع العلمى العربى بدمشق صفحات ٣٠٦ ألى ٣١٣ .

(٢) الأعلاق الخطيرة لا بن شداد : المعهد الفرنسي للدراسات العربية ، ص٣٤ من المقدمة .

أعظم وثيقة وصلتنا عن طوبوغرافية هذا البلد الخـــالد .)[1] وبمناسبة تاريخ دمشق الكبير لابن عساكر نذكر أن كوركيس عواد العراقى قد وصف نسخة خطية نفيسة غاية النفاسة لهذا الكتاب مودعة بمكتبة جامعة كولومبية فى نيويورك ،وقد كتبت فى حياة المؤلف ،ولم يتجاوز وصف المخطوطة إلى صفة صاحبها أو ، تقديره وذلك فى كتابه : (جولة فى دور الكتب الأميركية).[2]

وإن كتابا يعـــالج الأدب فى العصر الأيوبى ، والأدب فى عصر صلاح الدين لن يخطئه الحديث عن المؤرخ الدمشقى ابن عساكر . وهكذا فعل د . محمد زغلول سلام . فى كتابه عن الموضوع الأول ذكر ابن عساكر فى بضعة مواضع وترجم له ترجمةوجيزة فىأحدها[3]ولم يفته أن يذكره بين مـــؤرخى البـــلدان ، وأن يذكره وهو يتحدث عن أصبهان ونزول ابن عساكر بها ، وأن يذكره فى موضع آخر ،وهو يتحدث عن كتب الحـــرب والســـلاح وكتـــاب ابـــن عساكر فى الجهاد ، كما لم يفته وهو يتحدث عن سخف شعر بعض العلماء أن يشير إلى رأى تاج الدين الكندى فى ضعف شعر ابنعساكر[4] وفى كتاب الدكتور سلام الثانى لم يفته أن يترجم لابن عساكر ، وإن كان نص الترجمة فى الكتابين واحدا ، بالإضافة إلى أنهما منقولتان بإيجاز عن ابن خلكان .

ولعل ترجمة جرجى زيدان لابن عساكر وتقديره لتاريخ دمشق هى أول اهتمامات باحثينا ومؤرخى أدبنا فى العصر الحديث . فقد كان صاحب « تاريخ آداب اللغة العربية » هو —على ما نعلم— أول وأقدم من تنبه إلى منزلة ابن عساكر فى التاريخ للبلدان والمدن ، كما كان أول من نبه فى العالم العربى الإسلامى —غير الشام— إلى قرب صدور طبعة عبد القادر بدران المختصرة المحذوفة الأسانيد من كتاب تاريخ دمشق .

ولاننسى فى هذا المقام أن نذكر فضل المرحوم خير الدين الزركلى، والأستاذ عمر رضا كحالة على الببليوجرافية الخاصة بابن عساكر فى كتابيهما الجليلين : « الأعلام » و « معجم المؤلفين » : والحق أن جهد ثانيهما كبير فى التهدى إلى المصادر المخطوطة والمطبوعة والمجلات التى تناولت الحديث عن ابن عساكر .

---

(١) المصدر نفسه ص ٣٤ .
(٢) جولة فى دور الكتب الأمريكية . مطبعة الرابطة ، بغداد ص ٨٩ ، ٩٠ .
(٣) الأدب . فى العصر الأيوبى . لمحمد زغلول سلام . ص ١٢٨ .
(٤) المصدر نفسه ص ٢٣٠ .

وكما كان حظ عالمنا العظيم ابن عساكر عظيما في صيته وشهرته وذيوع اسمه في الشرق الأدنى والشرق الأقصى، نجد اسمه ذاع عند علماء الاستشراق في المغارب، فقد تناوله بروكلمان في موسوعته عن الأدب العربي، وكتب عنه في دائرة المعارف الإسلامية تحت مادة (ابن عساكر) . وتناوله المستشرق البريطاني الكبير د . س . مرجوليوث في كتابه المفيد : (دراسات عن المؤرخين العرب) الذي ترجمه الدكتور حسين نصار، ودون هذا المستشرق بعض أخباره التي جمعها من مصادر مختلفة، وأشاد بالجهد الذي بذله في تاريخ دمشق، وخاصة التراجم التي تدل على جهد عظيم في جمع أسماء الرجال وترتيبهم وفق حروف الهجاء، وجمع الحقائق عنهم. وإن كان القسم الأول الخاص بوصف دمشق مخلا إخلالا مخيبا للآمال في نظره، مما جعل كتابا متأخراً في خطط دمشق يفوق كتابه الكبير.

ولكن هل تمنع بعض الملاحظات على ابن عساكر وتأريخه لهذه العاصمة العربية الإسلامية العتيقة العريقة أن ينال هذا الرجل العظيم حظه من التقدير والتكريم؟

محمد عبد الغني حسن
عضو المجمع

طرف من الأدب واللغة

— ٦ —

للدكتور احمد عمار

— اللهم هذه ناصيتى بيدك؛
فتولنى بالعصمة واجعل عقباى إلى الحسنى

— أصاب عبد الرحمن بن مدين — وكان رجل صدق بخراسان — مالا عظيما . فجهز سبعين مملوكاً بدوابهم وأسلحتهم إلى هشام بن عبد الملك ثم أصبحوا معه يوم الرحيل ، فلما استوى بهم الطريق نظر إليهم فقال : ما ينبغى لرجل أن يتقرب بهؤلاء إلى غير الله ، ثم قال : اذهبوا أنتم أحرار ، وما معكم لكم . .

كتب المتنبى كتاباً لحدته ، فأخذت الكتاب وقبلته ، وغلب الفرح على قلبها ، فماتت .

ويقول المتنبى فى ذلك :

أتاها كتابى بعد يأس وترحة
فماتت سروراً بى فمت بها غماً
حرام على قلبى السرور فإننى
أعد الذى ماتت به بعدها سلما

— جاءت امرأة إلى الليث بن سعد وفى يدها قدح ، فسألت عسلا وقالت : زوجى مريض . فأمر لها براوية عسل ، فقالوا : ياأبا الحارث إنما تسأل قدحاً قال : سألت على قدرها ونعطيها على قدرنا .

* * *

— حكى ابن أسادة قال : كان عندنا بأصفهان رجل أعمى يطوف ويسأل ، فأعطاه مرة إنسان رغيفاً ، فدعا له وقال : أحسن الله إليك ، وبارك عليك وجزاك خيراً ورد غربتك . فقال له الرجل : ولم ذكرت الغربة وما علمك بها ؟ فقال : لى ها هنا عشرون سنة ، ما ناولنى أحد رغيفاً صحيحاً .

(الإمتاع والمؤانسة)

— وقف أعرابى على حلقة الحسن البصرى وقال : رحم الله من أعطى من سعة ، وواسى من كفاف ، وآثر من قلة . فقال الحسن : ما أبقى أحداً إلا سأله .

* * *

النيل و النوال :

نلته أدركته (يائى) ونلته أعطيته (واوى) فلان يسعى لنيل بغيته وأما

النوال بمعنى العطاء فيقال منه نُلْته أى أعطيته .

أرى الناس يرجون الربيع وإنما
ربيعي الذى أرجو نوال وصالك
لئن ساءنى أن نلتنى بمساءة
لقد سرنى أنى خطرت ببالك
(الحمامىّ)

* * *

— أفعال لازمة : أنجب ، أغدق . أثمر. ابتكر .

١ ــأنجب الرجل : أتى بولد نجيب . ويعدّى بالباء : أنجب بولد صالح .

٢ ــأغدق المطر : كثر . وأغدقت الأرض أخصبت .

٣ ــأثمر الشجر : ظهر ثمره .

٤ ــابتكر : أى بكر . ويمكن استعمال الابتكار فى الابتداع :
(ابتكر الفاكهة أكل با كورتها .
وابتكر الجارية افتضها)

* * *

— أفضل الحركات الصلاة ، وأمثل السكنات الصيام (ابن سينا)

* * *

وقال أبو العلاء المعرى :

أفق إنما البدر المقنع رأسه
ضلال وغى مثل بدر المقنع

وقال فيه ابن سناء الملك :

إليك فما بدر المقنع طالعاً
بأسحر من ألحاظ بدر المعمّم
(على الجندى)

* * *

— العرب تستعمل « الأخ » « على أربعة أوجه :

١ــ الملازم للشىء : أخو دعابة ــأخو الحرب

٢ ــ المجانس والمشابه : هذا الثوب أخو هذا

٣ ــ الصديق

٤ ــ أخو النسب والقرابة : يا أخا تميم .
(مختارات أحمد تيمور)

* * *

— أكذب بيت قالته العرب : قال الشاعر يصف سيفاً قاطعا :

تظل تحفر عنه إن ضربت به
بعد الذراعين والساقين والهام

(أى لو جمعت ذراعى جزور وساقيها وعنقها ثم ضربتهن به لقطعهن وساخ فى الأرض فتظل تحفر عنه .

(مختارات أحمد تيمور)

* * *

قال اعرابى :

أسوأ ما فى الكريم أن يكُفَّ عنك خَيْرَه ،
وخير ما فى اللئيم أن يكف عنك شَرَّه .

* * *

– قيل لجرير : من أشعر الناس ؟ قال : أنا لولا الخنساء. قيل . بِمَ فضلتك ؟ قال : بقولها :

إنَّ الزمان وما يَفْنَى له عجبٌ
أبْقَى لنا ذنباً واستؤصل الرَّأسُ
إن الجديدَيْن فى طول اختلافهما
لا يفسدان ولكن يفسد الناس

يقال فى الغراب :

أبصر من غراب – أحذر من غراب – أزهى من غراب – أشأم من غراب – أفسق من غراب – أصفى عيشاً من غراب – أشد سواداً من غراب .

طار غراب فلان : شاب رأسه .

* * *

فى الصيد :

يقال رمى الصيد فأثبته ، ورماه فأقصده ورماه فأصماه ، ورماه فأنماه ، ورماه فأشواه

أثبته : قتله مكانَه .

أقصده : قتله مكانه .

أصماه : قتله قبل أن يغيب عنه (وهو يراه)

أنماه : قتله فغاب عنه ثم مات .

أشواه : أصاب شواه أى أطرافه ولم يصب المقتل .

(وفى حديث عبدالله بن عباس : كُلْ ما أصميت ، ودَعْ ماأنميت) .

(اللسان)

* * *

الغلام والجارية :

١ – العبد والأمة

٢ – الغلام الصغير والجارية الصغيرة .

قالت امرأة ترقّص بنتاً لها :

وما عليَّ أن تكون جارية
حتى إذا ما بلغت ثمانيَة
زوّجتها عتُبة أو معاوية
أختانُ صدق ومهورٌ غالية

* * *

اللهم اجعل قولَنا موصولاً بالعمل وعَملنا مُحَقَّقاً للأمل .

(دعاء صوفى)

* * *

– قال رجل لعمر بن الخطاب : انطلق معى فأعْدِنى على فلان فإنه قد ظلمنى فرفع عمر الدِّرة فخفق بها رأسه وقال : تَدَّعون أمير المؤمنين وهو معرض لكم حتى إذا اشتغل فى أمر من أمور المسلمين أتيتموه أعدنى ، أعْدِنى .

فانصرف الرجل وهو يتذمر . فقال عمر علىّ بالرجل ، فردوه عليه ، فألقى إليه المخفقة وقال : امتثل (أى اقتص) ، فقال لا والله ، ولكن أدعها لله ولك . قال عمر : ليس هكذا ، إما أن تدعها لله إرادة ماعنده وأما أن تدعها لى . ال : أدعها لله .

فانصرف عمر حتى دخل منزله ، فصلى ركعتين ، وجلس ، فقال يخاطب نفسه : يا ابن الخطاب ، كنت وضيعاً فرفعك الله وكنت ضالا فهداك الله، وكنت ذليلا فأعزّك الله ، ثم حملك على رقاب الناس ، فجاءك رجل يستعديك فضربته . ماتقول لربك غداً إذا أتيته ؟

أحمد عمار
نائب رئيس المجمع

الطابع الإسلامى للأدب التركى القديم

للدكتور حسين مجيب المصرى

ملخص

من تجاوز الحد قولنا إن الأدب التركى القديم هو الأدب الإسلامى مكتمل الخصائص متسق السمات وما ذاك إلا لأن بانغاء الترك فى واقعهم الحق : إنما أخذوا عن الفرس الآخذين من قبل عن العرب ؛ وبذلك تحصل لهم تراث إسلامى أوفى على الغاية بعد أن طـوى مرحلة تلو مرحلة . فتوفرت مقوماته وتراحبت جوانبه . وقد زادوا فى هذا التراث وخلفوا فيه ماثلا من أثرهم فبلغوا به حيث لم يبلغ غيرهم . وكانت لهم عنديا تهم وخصوصياتهم .

وإذا ذهبنا نتلمس هذا ونتبينه فى طول تاريخ الأدب التركى ألفينا أن الشعر التركى ما انبثق فى الوجود إلا استجابة لنزعة إسلامية لا ريب فيها هى النزعة الصوفية . وللإبانة عن ذلك نقول إنه كان للسلاجقة دولة فى الأناضول تعرضت طويلا لغزوات الصليبيين التى توالت عليها . إلا أن تلك الدولة ودت عادية المعتدين وذادت عن ذمار الإسلام ، وإن أعقب ما ثار من حروب آثاراً للخراب تتأذى بها النفوس وتنفطر لها القلوب[1] .

كما خيم على غرب آسيا منذ القرن الخامس إلى السابع عبوس جد كئيب ، بسبب ماتعاور البلاد من محن ودهمها من خطوب ، وذلك لنزاع على السلطان بين ذوى القربى ، وتهالك منهم على حطام إلى فناء نسوا معه كل ما يتجافى عن أحكام الدين وتبرأ منه الإنسانية بمعناها الأقرب الأوضح — وما أمن الناس على نفس ولا مال . فشاه فى العيون وجه الدنيا ، وماجت القلوب بنزعة حالمة تدفع دفعاً إلى الانصراف عنها وقطع كل موصول من أسبابها على أنها دار ممر لا دار مقر ، فذو اللب من يتزود من دنياه لأخراه وسبيله إلى ذلك الإمعان فى التقوى وترقيق القلب بمحبة الرحمن والهروب بالروح إلى موئل يعصمها من شرور دنياها ، وترتب على ذلك ميل إلى الزهد والتعبد ، وأصبح التصوف أحب شىء

---

(1) Danisman: Osmanli imparaturlugn Tarihi s . b Cilt Sstalril (1956)

إلى نفوس القوم فتاقوا إليه، صادفت أحكامه وقيمه وتعاليمه هوى فى قلوبهم فحفلت أرجاء الأناضول بالزوايا والتكايا . وتحلق الناس خواصهم وعوامهم حول شيوخ الصوفية .

وما وافى القرن الثالث عشر الميلادى حتى كانت مدن الأناضول حافلة بمشايخ وأتباع الطرق الصوفية كاليسوية والحيدرية وكثير غيرهما . وأدى فشو التصوف بين شتى طبقات الشعب التركى العثمانى إلى جريان أشعار فى التصوف على الألسنة وضرورة أن يتصدى لها من يجلو الغامض عنها . ويخرج فى تفسيره من رمز صوفى إلى معنى أدبى ويوضح شعراً بشعر ويؤول على مضمونه وصورته. واتفق لجلال الدين الرومى أكبر وأشهر صوفية الفرس أن حسنت له مدينة قونيه فى الأناضول مستقرا ومقاماً : وكان صاحب طريقة خاصة به وأوسط كتبه كتاب منظوم معروف بالمثنوى يتضمن تفسير أحكام التصوف بشعر فارسى . وعظم عند الترك قدره وما أجله المسلمون وحدهم بل قيل إن المسيحيين واليهود سعوا فى جنازته مع أهل لا إله إلا الله ا .

ويؤخذ من هذا أنه لا بد عظيم الأثر فى نفوس من جلسوا إليه يسمعون منه ويأخذون عنه تعاليم طريقته الصوفية التى لا تعدلها أخرى فى سيرورتها عند الترك . وذلك ما يستبين منه حتمية أن يكون هذا الشاعر من شيوخ الصوفية منقطع الند فى سيطرته على القلوب والعقول فى النطاق الأوسع .

ولما كان النزوع إلى التدين والتصوف مستبداً بالترك فى عموم وشمول . كانت الكثرة الكاثرة ممن يهرعون إلى هذا الشيخ ليتزاحموا فى مجالس وعظه وعلمه من العوام الذين لم يقلبوا النظر فى كتاب ولا علم لهم بالفارسية وهى التى لم يكن لتركى من أولى العرفان غنية عن العلم بها على أنها لغة الشعر الصوفى والأدب العالى . ووجد جلال الدين الرومى نفسه فى ضرورة أن يتجه بخطابه إلى مريديه بلسان يفهمون وما وسعه إلا الهبوط من عليائه إلى مستوى ما يفقهون . ورأى من الخير أن ينظم لهم أشعاراً بالتركية التى يأخذون بأطراف الأحاديث بينهم بها . ونظم لهم فى أحكام التصوف المخصوص به . وكانت محاولته هذى باكورة الشعر التركى الحق الذى يجرى على أصول النظم ويعالج نظمه مجيد من الشعراء وعظيم من العلماء بدافع من رغبته فى أن يلقن العوام أصول طريقته .

وهنا يقترن الشعر بالتصوف ، أو على التحديد والتوضيح ، يستمد الشعر التركى نشأته من التصوف وهو ذلك التيار الروحى الأهم الذى ضرب بأصوله بعيداً عميقاً فى كتاب الله المبين والحديث الشريف . وحسبنا نظرة عجلى فى اصطلاحات الصوفية وما يدور

---

(1) Bombaci. Storia della Letteratura turca . P 265 (Milano 1954)

عليه كلامهم المعبر عن شعورهم وفكرهم لتقيم الدليل على أن الإسلام بمفاهيمه كان للتصـــوف نبعه العذب الفرات . وقضى جلال الدين الرومى فخلفه ابنه سلطان ولد شيخاً لطريقته . وكان أميناً على وديعة أبيه فترسم خطاه وأخذ إخذه فى صنيعه لنشر التصوف ، فأخرج كتاباً عنوانه (رباب نامه) بمعنى كتاب الرباب ويعد أول كتاب فى الأدب التركى . وهو منظوم بلغة يفهمها الترك كافة ولم يحاول فيها البلاغة بل مجرد الإفادة ، ورتب هذا الكتاب على أبواب وفصول فى شرح أحكام التصوف ونزعته التعليمية تظهر فى جلاء مما يدل على أنه رأى أن ينقل خطاه فى طريق طويلة بعد أن شقها له أبوه وسار فيها غير بعيد لأن الأجل حال بينه وبين إنجاز العمل وتحقيق الأمل . وفى كتابه يؤيد الوفاء بالعهد ويحيي ذكرى أبيه قطباً للأولياء ويؤكد على مريديه الوصية بالاستماع لنصحه وعدم التراخى فى العمل بما أحب لهم أن يعملوا . بعد ذكره لأبيه بكل جميل وما يجرى فى كلامه من دموع الذكرى تارة أو تارات لا ينفى عنه أن يكون ناظماً لا شاعراً قصاراه أن يجد فى الناس دعـــوته ورغبته فى التمذهب بمذهبه فهو القائل :

(إعلم أن مولانا قطب الأولياء فاعمل بكل ما فى كلامه جاء ، له الكلمات هى من الله رحمات تضيء بها عيون من عماها فى ظلمات . إضرع إلى رباك واجأر بالدعاء ملتمساً أن يبسط عليك من رحمته الأفياء . وقل اللهم افتح عينى لمشاهدتك واملأها بصراً حتى أمضى إلى البحر كالقطر وأجد فيه مستقراً . القطر والبحر لزام أن يتحدا ، ولن يكونا شيئين بل شيئاً واحداً[1] .

فمثل هذا الكلام ليس ينبعث إلا من قلب مؤمن موقن يصدق قومه النصح ليكونوا فى مرضاة الله وينعموا بما يسبغ عليهم من رحمته بعد أن يجدوا كل سبيل إلى طاعته ، إلا أنه يتجاوز ذلك إلى التعبير عن عاطفة العشق الإلهى خفاقاً بها قلب صوفى يريد بدافع من فرط محبته للذات الإلهية أن يفنى فيها ذاته الإنسانية . وكافينا من هذا أن نلحظ من جانب واحد هو دلالة على طهر روح المسلم بالإيمان.

ويأتى الترتيب بعد ذلك على شاعر يسمى عاشق باشا . وقد اختار لنفسه هذا الاسم على أنه بمعنى عاشق الذات الإلهية وله كتاب

---

(١) مولانا در قطـــب اوليا بلنـــك تاكيم أول بويردى ســـآنى قلنـــك
تنكرى دان رحمت درانن سوزلرى كورلر اقرسا ايجيلا كوزلرى
يلوا روب زارى قلب ديكل آنكا رحمـــت ايتفل كندو لطفندن بكا
كوزمن آج كم سنى بللو كورم طامله كيبى دنكـــيز اكبرم درم
نيته كم طامله دنكيزا قارلـــر ايكى قالمز طامله دنكزبـــــر الر

منظوم هو(غريب نامه) أى كتاب الغريب وفيه يقعد قواعد التصوف بنزعة تعليمية : والكتاب بمنظوم إلا أن صاحبه أبعد ما يكون عن رغبته فى تزويق العبارة وتنميتها فغرضه علمى لا أدبى .

أما ما يستوقفنا من هذا الكتاب متعلقاً بطابعه الإسلامى الأوضح فهو تضمنه عشرة أبواب وعشرة فصول ، وفى أول كل فصل فكرة موضوعية ، مع تذييل عليها بالتفسير والتأويل والاستشهاد بآيات الذكر الحكيم والحديث الشريف . وهو لا يدخل الآية فى شعره بل يفصل بها تكراراً بين طائفة وطائفة من الأبيات . مثال ذلك أن يورد قوله تعالى فى سورة إبراهيم : « لئن شكرتم لأزيدنكم » ثم يبسط القول فيها ، ويعاود ذكرها حتى يجعل منها فاصلة فى أربعة مواضع من شعره تستغرق أقل من صفحة . ويستوجب الشكر على الإنسان مذكراً إياه بما أسبغ عليه من نعم فيخرج من التفسير إلى الإرشاد ويفتح بصر المسلم على حقيقة لا ينبغى أن يكون عنها من الغافلين مما يضفى على كتابه حيثية كتاب دين واخلاق وتربيب إسلامى إلى كونه كتاباً فى أصول التصوف التى يدعو إلى تفهمها والعمل بمقتضاها .

ومن شـــعراء الترك فى العصر الأول من عصـــور الأدب التركى صوفى أمى لا يكتب ولا يحسب يسمى يونس أمره . والمحدثون من أدباء الترك خصوصاً — يعتزون به كثيراً ويمجدونه إلى أبعد حد وذلك لأصالة ملكته وصدق شاعريته وما فى شعوره من عمق وسلاسة لغته وهى لغة قروى من أهل الأناضول وقد نظر شعراء التصوف من الترك بعد إلى شعره مثالا يحتذى[1] .

ولقد ذكر القرآن فى شعر له يقول فيه :

(تلك أنهار الجنة جرت والله ذكرت :
بلابل الإسلام حومت والله قالت حين ترنمت . وأفنان طوبى تأرجحت والقرآن تلت[2] .

فى نشوته الدينية المنبثقة من فطرته ينطلق هذا الشاعر الدرويش على سجيته ويرى فى أوراق شجره طوبى ألسنة تجرى عليها آيات الكتاب المبين وذلك ما يكسب قوله ملمحاً دينياً إسلامياً وهو يبدو معبراً فى سطحية وسذاجة مما ينهض دليلا على أنه إنما يصدر عن وحى السجية ، كما يستبين من قوله بلابل الإسلام وهى بلابل يتمثلها وينسبها إليه على نحو ينم عن رغبته فى التعبير عما تنطوى عليه جوانحه من عاطفة دينية تتلمس الإبانة عنها لأن صاحبها لا يملك لها كتماناً بعد أن ملأت رحاب فكره وشعوره . ولا غرو فيونس أمره درويش مجذوب طالمـــا قال فى شعره إنه ذلك العشيق الذى لا يقر له قرار ويذهب

(1) Sadeddin Nuzhet: Bektasi Sairleri: 4 11 (Istanbulanlul 1944)

(٢) كيب : تاريخ أشعار عثمانية (بلاً تعطن) . ص ٩ (ليدن ١٩٠٩)

فى الأرض هائماً على وجهه يترنم بالشعر فى نشوة العشق الإلهى وما أشبهه بذلك البلبل الذى يتغنى على كل فنن لا يملك الكف عن الغناء وهو لا يعى مايردد من رجع حنين.

ويونس امره مثار اهتمامنا فى هذا المقام بخاصة ؛ وذلك من وجهين أما أولهما فلكونه من هؤلاء الدراويش الشعراء الذين يعرفهم الترك منذ عرفوا التصوف وانتشروا فى البلاد طولا وعرضا ومنهم من ينشدون أشعارهم مناغمين بها . الحان معازف يضربون بها لتسرى أنغام الأوتار فى أنغام الأشعار وتهز القلوب كما لا يهزها إنشاد الشعر وحده .

ومعظم هؤلاء الدراويش المنشدين يستدرون رزقهم بالإنشاد والعزف ويعرفون بالعشاق بمعنى عشاق الذات الإلهية : وجل مايقولون شعر صوفى شعبى ولهم الفضل الذى لا يجحد فى شيوع التصوف بين طبقات الشعب وذيوعه. وأشعارهم تشكل جانباً عظيم الأهمية من أدب الترك الشعبى . وهذا مايستخلص منه أن أدب الترك الشعبى مستمد أعظم وأهم مقوماته من الدين الحنيف فى أعلى ذروة من ذراه وهى التصوف .

أما الوجه الثانى وهو ذكره للقرآن — فيورد على الخاطر ظاهرة خاصة فى الشعر التركى وهى ما درج عليه الشعراء من تضمين أشعارهم آيات قرآنية وأحاديث نبوية ، وكان ذلك دأبا لهم لا ينفكون عنه . ومنشود غايتهم من ذلك استمداد الحجية من القرآن والحديث ليقيموا قواطع البراهين على رأى يرونه ومذهب يأخذون به وقد وجدوا فى هذا نعم العون وهم ينظمون الشعر فى التصوف وما كان لتولهم من دافع حين يؤيدونه بقول الله ورسوله . وفرق أى فرق بين التوكيد بهما وتكلف تفسير الحقيقة بالمجاز وإيضاح المعنى بالتمثيل والتخييل .

وتأسيساً على هذا نشير إلى أن التصوف الذى كان عمدة السبب فى نشأة الشعر التركى ظل ملازماً له مسيطراً عليه دهراً طويلا بلغ ستة قرون فما تأتى لشعراء الترك وشواعرهم حتى من يعرف عنهم أنهم ماكانوا من أهل الفتوى أن يقولوا مايخلو من أحكام التصوف واصطلاحاته وصوره الأدبية . وترتب على ذلك أن وسمت جمهرة أشعار الترك بسمة الدين .

وللأدب التركى مظهر إسلامى آخر يتعلق بالنبى صلوات الله وسلامه عليه وفرط محبة المؤمن له . وهنا مجال القول فيما يعرف عند الترك بمولد . ومولد نمط من المنظومات يتضمن سرداً لسيرة سيد المرسلين مع ذكر محامده ومناقبه على نحو عاطفى شعرى مباين للمدائح النبوية التى تسمى عند الترك (نعت) .

وأول مولد فى التركية لمن يسمى سليمان چلبى الذى عاش فى القرن الرابع عشر على عهد السلطان أورخان ثانى سلاطين ال عثمان . ولا نعرف من سيرته إلا أنه كان من شيوخ

التصوف ولباعثه على نظم مولده خبر مستطرف مجمله أنه فيما كان يلقى ذات يوم إلى أحد الوعاظ سمعه قال الواعظ إنه لا يفضل محمدا صلى الله عليه وسلم على سواه من المرسلين وحجته قوله تعالى (لانفرق بين أحد من رسله) ، وكان فى المجلس عربى من أهل الشام ، فما طرق سمعه قول الواعظ حتى أخذه أشد غضب وصاح عليه قائلا (أيها الجاهل لا بصر لك بالتفسير ولقد ذهلت عن المتشابه والناسخ والمنسوخ فإن المقصود من معنى تلك الآية هو عدم التفرقة بين الرسل فى أمر الرسالة والنبوة لا فى مراتب الفضل . وإلا فكيف يفسر قوله تعالى (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض) وعاد الرجل إلى بلده وهو يكاد ينشق غيظاً ثم استفتى فى قتل الواعظ وعاد إليه فقتله .

وهذا ماحرك كوامن الشجن فى نفس سليمان چلبى فصمم منه العزم على أن ينظم منظومة يكشف فيها عن وجه الحق ، وينفى الشبهة قاطعاً الشك باليقين فيما يتصل بسيد الأنبياء والمرسلين .

وفى رأى أن عقائد الباطنية فشت فى الأناضول منذ القرن الرابع عشر فعرف عنهم تفسير آيات القرآن بما لايفهم من ظاهرها وكأنما كان إقبال سليمان چلبى على نظم المولد تأييداً لأهل السنة وتكأة يعتمدون عليها فى كل زمان[1] .

والإجماع متعقد فى الغابر والحاضر على أن ذلك المولد من روائع الأدب التركى القديم وفى هذا يقول الرحالة التركى القديم أوليا چلبى وهو يذكر مدينة بروسه وهى مسقط رأس الشاعر إن مولد سليمان چلبى الذى يتلى فى بلاد العثمانيين وغيرها من البلاد الإسلامية شعر معجز وسهل ممتنع . وقال لطيفى صاحب تذكرة الشعراء تحت عنوان (فخر الفقراء وزين الصلحاء مؤلف كتاب مولد النبى سليمان چلبى) إنه اطلع على مائة مولد وما لواحد مما اطلع عليه ما المولد سليمان چلبى من جودة واتساع شهرة[2] .

أما المحدثون فمنهم ضيا باشا الذى قال (لست أدرى هذا الكلام من أى نوع إنه يخلب لب كل مستمع) والمتبادر إلى الفهم مما أسلف ذكره مختصاً بهذا المولد أنه إنما نظم استجابة لتعبير عن شعور دينى رقراق جاشت به نفس صاحبه وكان انطلاقه على سجيته واستلهامه من أصالة فطرته ، قبل انعقاد نيته على إحقاق الحق والخروج من الخلاف ، كما ندرك مما لايحتمل من شك ولا تأويل أن سليمان چلبى سبق إلى إيداع فن شعرى صادف هوى فى نفوس الشعراء من بعده وشاءوا أن يساجلوه فيه إلا أنهم لم يبلغوا مبلغه وعجزوا العجز كله

---

(1) Ahmed Ates: Mevid. 232: (Ankora, 1945)

(٢) لطيفى : تذكرة لطيفى . ص ٥٧ (در سعادت ١٣١٤)

(٣) أوليا چلبى سياحت نامه ص ١ ه ايكنجى جلد (استانبول ١٣١٤) .

عن أن يقولوا شبه مافتح الله عليه به . أما أن يجرى القدماء والمحدثون مافى جعبتهم من صفات الحسن على تلك المنظومة ، ففيه الدليل كل الدليل على أن أروع الروائع فى الأدب التركى القديم منظومة هى أوضح مايكون أصالة فى إسلاميتها ، ولقد اشتهر أمرها عند الترك على تفاوت حظهم من العلم فأمست جانباً له العظيم من قدسية وأهمية فى تراثهم فى مظهره الأدبى والدينى والاجتماعى .

فقد جرت عادة المتقين من الترك بأن يجتمعوا فى كل مساجدهم وديارهم فى شهرى ربيع الأول والثانى للاستماع إلى من ينشدهم هذا المولد بصوت بلبلى فيقع الخشوع فى القلوب وتفيض من الدمع العيون ويترحم من فى المجلس على سليمان چلبى قارئين الفاتحة لروحه فى عليين وقمين بالذكر أن الترك يداومون على هذا من ديدنهم منذ ستمائة من الأعوام .

وأول مايطالعنا من هذا المولد مقدمة عربية كثيرة السجع والبديع إلا أنها تمتاز بفصاحتها وجودة عبارتها على ماكان مستبعداً من مثل صاحبها التركى . وهى تحوى أوصافا للنبى بصفاته وذكر كل مافضله الله به على العالمين . والمولد فى عدة أبواب منها ماهو فى ذكر أسماء الله الحسنى وخلق الكون ومايتصل من كل هذا بسبب وذكر أن الله خلق الدنيا من نور النبى صلى الله عليه وسلم وبسط القول فى ذلك تفصيلا وهى فكرة طالما رددها المتصوفة فى أشعارهم وإليك هذا المثال مما قال :

(جعل المصطفى له حبيبا فكان لكل الأدواء طبيبا . وكماله وعلى الخلق فضله . وكان منه كل جلى وخفى والعرش والفرش والغبراء والزرقاء. ولولا أن محمداً ظهر لما بدت أرض ولا سماء للنظر ولاشمس ولاقمر ياصاح بل ولا ليل ونهار وضاح . ولولا قدوم محمد إلى العالم لما نزل تاج العزة إلى آدم ومن أجل ذلك الرسول حظيت توبة آدم عند الله بالقبول . وكرامة له قدرت لنوح من الغرق نجاته وقبل مولده تجلت معجزاته. أما موسى فى يده العصا أصبحت بعزته حية تسعى . ولما كان جده الخليل جعل من النار جنة له هذا الخليل[1] .

---

(١) مصطفاي كندويه قلدى حبيب
جملة درده هم أول أولدى طبيب

حق اكاوردى مكمل ايلدى
يارد لمشدن مفضل ايلندى

كر محمد أو لميابيدى عيان
أو لميسردى زمين واسمان

اندن أولدى هرنهان وأشكار
عرش وفرش وتير وكوك هرناكه دار

كر محمد أولميابيدى أى يار
أولمزيدى آى وكون ليل ونهار

كر محمد كلمسيدى عالمه
تاج عزت انيمريدى ادمه

هم وسيلة أولدى غيجون أول رسول
ادمك حق توبه سن قلدى قبول

نوح أيجون غرقون بولدى نجات
داحى طغيادن كورندى معجزات

داخسى هم موسى النده كى عصا
أولدى آنك عزتينه أژدها ..

كار جدى أولد وغيچون أنك أول خليل
نارى جنت قلدى أكا أول جليل

ومما تنعقد صلته بالمولد منظومة تسمى (المحمدية) وهى لمن يدعى محمد بن صلاح الدين فرغ من نظمها عام ١٤٤٩ للهجرة .

وقال فى سبب نظمه لها انه كان ذات يوم معتكفا فى عزلة فدخل عليه جماعة من صحابه يسألون لم لايخرج لهم عن الرسول الكريم ما يحيطهم علما بشمائله الغر وسيرته العطرة ، فأجابهم بأنه مسبوق إلى ذلك والكتب المدونة فيه شئ كثير غير أنهم رغبوا إليه أن يزيدهم شرحاً وتفسيراً فوعدهم خيراً . ولما أظله الليل رأى فيما يرى النائم كأن النبى صلى الله عليه وسلم وصحابته وقوف أمامه وعلى وجوههم النقب وأمامهم أقداح من ماء صاف ، وسأل أحدهم عن حلية أمرهم فقال له لمن يرفعون نقبهم ومن يشمل من صهبائهم فى مجلس أنسهم فشق الشيخ ثوبه جزعا إلا أن النبى صلى الله عليه وسلم طيب خاطره قائلا له (ارفع الحجاب عن قلبك وابحث عن جمالى فى روحك) ثم أمره أن يعلم الناس الحكمة ويذيع كلامه فيهم . فتوفر على نظم المحمدية ، وهى فى تسعه آلاف ومائة بيت وتسعة وماهى من بحر واحد بل فى سبعة بحور وجمالها الغنى لايوصف بالبراعة على سيرورتها وشهرتها وإن المجالس من النساء لتجتمع للاستماع إلى ابيات منها تتلى فى ترجيع وتنغيم وذلك طلبا للبركة والمثوبة والمحمدية تتضمن مهب القول فى البعثة المحمدية وخلق الكون من نوره صلى الله عليه وسلم ونهاية هذا العالم .

ويستوقفنا منها مايجرى عليها من كل صفات الأدب الإسلامى المعبر عما يألف الخواص والعوام من أمور دينهم ويطيبون نفسا ويرقون روحا لسماع مايتلى عليهم من سيرة رسولهم .

ومما يروى عنه صلى الله عليه وسلم قوله (من حفظ على أمتى أربعين حديثا من أمر دينها بعثه الله فى زمرة الفقهاء والعلماء) وهذا ماحرك الهمم إلى تدوين مالا يحصى كثرة من رسائل فى هذا الصدد عند العرب والفرس والترك وقد ترجم الشاعر الفارسى جامى هذه الأحاديث الأربعين شعرا إلى الفارسية ولكن هذه الترجمة من حيث مبناها ومضمونها لايمكن أن تضيف شيئاً إلى شهرة هذا الشاعر الفارسى الذى طبقت شهرته الآفاق ، ولا نتجافى عن الصواب إذا قلنا إنه ترجم تلك الأحاديث ترجمة قريبة من شرحها وهى ترجمة حرة ضعيفة [1] ، وترجمها فضولى امير الشعر التركى فى القرن السادس عشر إلى التركية شعراً عن تلك الترجمة الفارسية لها عن العربية ، وهو القائل فى أول كلامه إنه ترجمها إلى التركية للفيض العام وهذا من قوله يؤكد انه تصدى لها مترجما كيما ييسر الانتفاع بها فى عموم . وترجمته معناها فى ظاهر لفظها ولعل فى هذا مايؤيد رغبته فى عدم قصر النظر فيها على من أخلوا للتحصيل ذرعهم وحدهم وبذلك يعزى إليه الفضل فى

(1) Korahan: : Fuzuli. 103 (Istanbul 1944

إتحاف الشعر التركى بما يعتز ويكرم به من أحاديث نبوية فأدخل على الأدب التركى هدى الدين وكلام خيرة الله من خلقه أجمعين

ويذكر النبى يذكر مضيفه الصحابى الجليل أبو أيوب الأنصارى الذى كان فى طائفة المجاهدين ومات تحت أسوار القسطنطينية عام ٥٠ للهجرة وفى ذلك يقول ابن قتيبة إنه دفن بأصل سور القسطنطينية وأمر يزيد بالخيل فمرت عليه مقبلة مدبرة حتى غاب أثره [1] ولم يزل مرقده فى الثرى منسيا حتى أمر السلطان محمد الفاتح بالكشف عن قبره بعد فتحه للقسطنطينية فكشف عنه رجل من أهل التقوى وحملة العلم يدعى شيخ آق شمس الدين وأقام السلطان له ضريحا ومسجدا وكان للترك ميل إلى أن يدفنوا قريبا من قبره تبركا به ورغبة فى ان يكونوا إلى جوار ذلك الصحابى الجليل فربما شفع لهم عند الله أنهم كانوا فى رحاب عظيم من صحابة رسول الله وكان لأبى أيوب فى نفوس الترك منزلة لاتسامى وقد ورد فى الشعر التركى ذكره بالمدح والتمجيد فهذا شاعر من أهل القرن السادس عشر يسمى نفسه (أيوبى) وفى منظومة له تتألف من نحو ألف وخمسمائة بيت مدح بها السلطان سليمان القانونى عقد فصلا بعنوان (فى مناقب أبى أيوب الأنصارى) . ونحن لانقدم أمثلة كثيرة من الشعر نسوقها لتقوم بها ثوابت الأدلة على أن الترك يجلون فى ذلك الصحابى صفات المجاهد الشهيد ويسمون به إلى منزلة ليس وراءها منزلة بحيث ينظرون إليه نظرتهم إلى ولى عظيم الكرامات مقبول الشفاعات ويلحظ أن هؤلاء الملتمسين بركته الرفيعة إلى عالى مكانته من الملوك ونسلهم .

فمنهم السلطان سليم الثالث المتوفى عام ١٨٠٨ م وكان له بالفنون مزيد اختصاص ومنها الشعر الذى شغف بنظمه واختار لنفسه فيه اسما مستعارا هو (الهامى) [2] وله بيتان من الشعر يوجه الخطاب فيهما إلى أبى أيوب الأنصارى على أنه ولى مقبول الشفاعة عند الله فيقول (انت حامل العلم الكريم لسيد المرسلين . فبحق البارى إلا كنت على الدوام المعين . وسليم (إلهامى يعفر على تلك الروضة الطاهرة الجبين . جد بالشفاعة لى يابا أيوب الأنصارى) .

وهذه إحدى اميرات آل عثمان تسمى (عادله) عرفت بتقواها وسماحتها والجياد من أشعارها التى جمعتها بين دفتى ديوان يقول أحد البلغاء إنه اطلع عليه، وكانت وفاتها عام ١٣١٦ هـ [2]

---

(١) ابن قتيبة : المعارف ص ١١٩ (القاهرة ١٩٣٢)

1- Kocaturk: Osmanli padisahlari . 228 (sitanlul)

(٢) بروسه لى طاهر : عثمانلى مؤلفلرى . ص ٣٣٥ ايكنجى جلد (استنابول)

ولها منظومة تصف فيها هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، وما كان من نزول بدار أبي أيوب، ثم تختمها بخبر خروجه إلى القسطنطينية غازيا مجاهدا وانتقاله فيها إلى دار البقاء وليس يخاف أنه كان للأميرة حافز النظم فى هذا الغرض من تقواها وباعث فى الصميم من قلب طهور رققه حب الرسول الكريم ومن اتصل منه بسبب ، وهى تجرى على مألوف شعراء الترك فى تأثرهم بالتصوف وإن كانت لاتسرف فى استخدام البديع وتنزع فى منظومتها نزعة قصصية فتسرد الحقائق على التحديد ولا تتباعد عن الواقع التاريخى إلا أن روحانيتها الدينية قد تخرج بها فى مواضع عن التزام الحقيقة بحذافيرها وذكر الأخبار وقد تعطلت من كل حلى فهاهى ذى تتمثل مقدم النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة والقوم يستقبلونه بالبشر والترحاب وكلهم يؤمل نزوله ضيفا بداره ولايريد أن يخيب فى سعي ولا أن يتقطع له رجاء فتقول ومد كل منهم إليه يد ضراعته قائلا يا مقيل المسكين من عثرته إذا تقبلت منى عبوديتى فانزل ياقوام الدين [1] بدويرتى يامن أنت للرحمة معدن وللعناية منبع ولعشاقك المدلهين من يشفع) وإن قيل يكفى من القلادة ماأحاط بالعنق قلنا حسبنا هذه الطائفة من أبيات تلك المنظومة لأنها تفى بحاجتنا إلى تبيان ماكان للاميرة من نزعة دينية جعلت من منطقها أصدق صورة لقلب عمر بالإيمان، ذلك الإيمان الذى حبس فى دارة شعورها وتعبيرها فما ملكت أن تتجاوز تلك الدارة إلى بعيد أو قريب .

وللترك فن من الشعر قائم الكيان معلوم الخصائص نظموا فيه على نحو لاعلم لنا بما يماثله عند العرب والفرس ونعنى به فن الرمضانيات أى نظم القصائد التى يدور القول فيها على شهر رمضان ، وهم يسمون القصيدة منها (رمضانية) وهم ومبلغ علمنا أن العرب والفرس لم يذكروا رمضان إلا عرضا فى غضون آشعارهم أما الترك فاختصوه بفضل من عنايتهم فى مطولات كادوا يقصرونها على القول فيه، والملحوظ أن فن القول فى رمضان عند الترك تنشعب عنه عدة فنون : كالوصف ، والهزل ، ووصف المدن وأهلها والسرد القصصى الذى تتلاحق فيه الأحداث، ويدور الحوار إلا أن مانريد لتبينه فى هذا الصدد أمران أولهما أن ذكر

---

(١) هربرى انيدى ضراعتله نيـــاز ديوب أى بيجاركانه چاره ساز
بنـده لكمـه ايدوب قبـــول خانمه أى شـــاه دين ايله نزول
مرحمت كان عنايـــت منبعـــى عاشـــق افتاد كانك اشفعـــى

رمضان ومايتعلق به من صوم ووصف لمواسم الإسلام، كما جاءفى شعر الترك خصوصا. يعد ولاريب مظهراً عريقاً فى إسلاميته، واهتم شعراء الترك بالنظم فى رمضان خصوصا ذهابا منهم إلى الرغبة فى التغنى بعظمة دينهم والتنويه بمظاهر العزة وانهاء والرواء فى حضارة الإسلام على عهد سلاطين آل عثمان ، كما أننا واجدون ضمن قولهم جمال تصوير لشهر التقى والغفران بكيفية تتجلى بها روحانية الدين ونورانيته .

وحاصل القول إن شاعراً يسمى (ثابت) عاش فى أوائل القرن الثامن عشر نظم قصيدة طويلة مدح بها الصدر الأعظم ، والقصيدة تتألف من تسعة وستين بيتا خص رمضان فيها بثمانية وعشرين إلا أن له فضل المتقدم وماذاك إلا لأن عشرة شعراء من الترك بعده عارضوه برمضانيات لهم وبذلك أصبح للرمضانيات كيان مرموق بين فنون الشعر التركى القديم .

وحسبنا أن نقتطف من تلك القصيدة أبياتا فى مواضع متفرقة كيما تستشهد على مانريد تبينه من حقائق بقول ثابت .

(أيؤخذ المصحف من المتعبدين فى رمضان . ولا صبر على انتظـــار دور القراءة لإنسان . والمساجد كقلب المؤمنين معمورة. والحانات كقلب الفاسقين مهجورة

إن شموع الكنيسة تذوب أمام هيبة الإسلام ماثلة للعيان ، وتميل إلى المسجد بالإيمان رافعة بالشهادة البنان) .

فشاعرنا فى البيت الأول محدثنا عن عادة الترك فى قراءة المصاحف فى شهر الصيام وكانت المصاحف تعرض على كراسى تحملها فى المساجد ليقرأ فيها من يقرؤون بالتناوب شريطة أن يصبر من يطلب المصحف مليا حتى يفرغ منه من سبقه إليه . ومن الناس من كان يخرج عن صبره بعد رؤية المتزاحمين على المصاحف قبله فيقرأ فى مصحف له هو مالكه [1] .

أما وصفه للمساجد وقد اتخذت زينتها من نور وزخرت بمن فيها من المصلين أهل اليقين وإشارته إلى الكف عن المحارم والمآثم وتمثله الشمعه فى ذوبان حيال هيبة الإسلام وتشبيهها ببنان مسلم بالشهادة يرفعه، فيدل على كثير مما نحن من ذكره بسبيل .

هذا مجمل القول فيما للشعر التركى القديم من سمات هى سمات الشعر الإسلامى الحق ورب متردم غادرته الشعراء .

أما النثر فى بواكيره على الأخص فهو الشبيه ولا ريب بالقريض وإذا ماالتفتنا إلى النثر التركى فى القرن الرابع عشر وهو

---

(١) النورى رمضان صوفيلر ندن مصحف رحله نك نوبتى بكلمنجه إنسان
الب مؤمن كبى مسجد مثلى معمور دل فاسق كبى ميخانه خراب وويران
مومدر شوكت اسلامى كورن شمع كنشت ايتملكه مسجده ايمان كوتوروب رفع بنان

(٢) د . حسين مجيب المصرى : رمضان فى الشعر العربى والفارسى والتركى ص ١٧٢ (القاهرة ١٩٦٥)

عهد نشأة الأدب التركى نظيمه ونثيره وجدنا أن النثر انبثق فى الوجود ليخدم الدين فهذا من يسمى أنقره لى مصطفى يجرى قلمه فى تفسير سورة يس معتمدا على ما استطاع إليه سبيلا من مصادر عربية وفارسية، وله كذلك تفسيره لسورة تبارك كما فسّر غيره سورة الاخلاص وكتب الكاتبون بعد فى قصص الأنبياء وسير الأولياء[1] أما القرن الخامس عشر فظهر فيه أول مثال للنثر الفنى التركى، وهو ماتعرف بتضرعات لمن يدعى سنان باشا، وهذه التضرعات كما يؤخذ من معناها مناجاة للذات الإلهية بنزعة صوفية تتكشف عن روح مؤمن تهفو إلى ربها فى إخبات عبد شكور :

وإذا نظرنا فى أدب الترك الشعبى رأينا الإسلام نورا يخطف الأبصار، فهذه قصة شعبية تركية مدار القول فيها على بطل أسطورى تكتمل فيه كل صفات البطل فى عهد الخوارق والمعجزات، حين كان الخيال الشعبى ينزل منزلة الممكن ويجعل مالا يستقيم فى عقل عقيدة ليس فيها من مراء، ولقد تطورت هذه القصة بعد الإسلام لنجد أن بطلها أوغوز يولد لأسرة على غير دين الإسلام، ويظهر المعجزة وهو يهدد أمه بأنه لن يلتقم ثديها حتى يموت مالم تدخل فى دين الله، فلايسع الأم إلاالرضوخ لرضيعها ويبلغ مبلغ الفتيان فيخطب له ابوه إحدى بنات عمومته إلا أنه يصر على الإباء فى شديد عناد لأن من تخطب له ليست على دين الحق وبيناهو ذات يوم فى الغابة يتصيد إذ أخذت بصره فتاة راقه حسنها وشغفه حباً دعاها إلى دين الله افرق له قلبها واطلع أباه على رغبته فيها ، وإن كتم عنه خبر إسلامها وإسلام أمه، وارتضاها أبوه خطبة له، ودارت الأيام وطاف يسمع الأب نبأ ارتداد ولده عن دين آبائه فعقد النية على قتله إلا أن الفتاة أخبرته الخبر ليأخذ حذره، وهدى أوغوز رهطا من رجاله إلى الاسلام ،وجيّش منهم جيشا حارب به جيش أبيه ونصره الله الله نصراً مبيناً، وأصيب أبوه بسهم فى عينه ولقى حتفه . ويبدو تأثر القصة بالإسلام فى مواضع فأوغوز يكلم أمه وهو فى المهد صبى كعيسى عليه السلام، وتؤمن خطبته بدينه كما كان من شأن خديجة رضى الله عنها مع النبى صلى الله عليه وسلم، وغضب قومه عليه لارتداده عن دينهم، فذكرنا بأمر قريش مع الرسول وعدم إلقائه السمع إلى نصح عمه .

ومن الحق قولنا إن القصص الشعبى عند الترك بعد الإسلام يدور معظمه على بطولة من جاهدوا فى سبيل الله لنشر الدين الحنيف فى الآفاق ومن قصصهم التى استفاضت له

(1) L- Kocaturk: Turk Edepiyati Tarihi Sl88 (AnkaraL9464).

الشهرة قصة حمزة بن عبد المطلب عم النبى ، وماكان من العجب أن تكون قصة حمزة مثار إعجاب الترك على أنها المثال الأمثل لقصة البطل المسلم : وقد ذاعت تلك القصة فى طبقات الشعب التركى منذ القرن الرابع عشر ، ويتضمنها كتاب بعنوان حمزه نامه ، أى كتاب حمزة ، ولنا أن نعد تلك القصة أهم وأعظم قصص البطولة الإسلامية عند الشعب التركى الذى اعتز بها ، من أجل بطلها الذى علا قدراً بما أبلى فى سبيل الإسلام وما انعقد من صلة بينه وبين خير الأنام .

حسين مجيب المصرى

الإلصاق الصوتى
فى الكلمات العربية المفترضة فى لغة الهوسا
للدكتور مصطفى حجازى السيد

تقديم :

يتناول هذا البحث ظاهرة من الظواهر اللغوية المهمة التى تحدث فى الكلمات العربية المفترضه فى لغة الهوسا ، وهى ظاهرة الإلصاق الصوتى Phonemic Affixation ، والإلصاق لغة هو ضم شيء إلى شيء آخر ، والإلتصاق فى الهندسة هو التحام الجسم الصلب بجسم آخر ، ومعنى هذا أن الألصاق يحدث فى أى موضع فى الكلمة كما يحدث فى أى مكان فى الجسم ، فقد يكون فى موقع البداية أو الوسط أو النهاية .

والصوت أو الأصوات التى تلصق فى بداية الكلمة تعرف باسم السابقة prefix مثل un فى اللغة الإنجليزية ، وهى سابقة بمعنى «غير» فيقال un - do بمعنى يفك ، و un-easy بمعنى صعب و un-able بمعنى غير قادر ، و un-certain بمعنى غير مؤكد .

وكذلك السابقة dis- بمعنى ينقص أو عكس فيقال dis-appear بمعنى يختفى و dis-approuve بمعنى يرفض ، dis-charge بمعنى يفرغ و dis-agree بمعنى يخالف : والألف والسين والتاء فى وزن استفعل فى اللغة العربية . والصوت أو الأصوات التى تلصق فى وسط الكلمة تعرف باسم الداخلة infix : وهى غالباً ما تكون إطالة لحركة قصيرة مثل الحركة التالية للفاء فى اسم الفاعل من فعل ، والتالية للعين فى اسم المفعول ، وقد تكون صوتاً صامتاً مثل التاء فى وزن افتعل من فَعَلَ .

اما الصوت أو الأصوات التى تلصق فى نهاية الكلمة فتعرف باسم اللاحقة suffix ، مثل -able وهى لاحقة فى اللغة الانجليزية بمعنى « قابل لـ » مثل utter-able = ممكن نطقة و use-able = ممكن إستعمالة ، و trust-able = موثوق به ومثل الألف والنون ، والياء والنون فى الاسم المثنى ، والواو والنون ، والياء والنون فى جمع المذكر السالم .

واصطلاح اللاصقة Affixation بهذا المعنى يختلف عما اصطلح علية اللغويون ،

---

(١) انظر لسان العرب مادة « لصق » .

وهو إطلاقة على اللواحق فقط حيث عرفوا اللغات التى يتغير معنى الكلمة فيها بما يضاف اليها من لواصق باسم اللغات الإلصاقية[1] ، أى أنهم قصروا ظاهرة الالصاق على نهاية الكلمة فقط وهذا عكس معنى كلمة الإلصاق حيث يتم الإلصاق فى أى موضع من الكلمة ، كما نميز فى هذا البحث بين اللغات الإلحاقية Aggultinative Languages مثل اللغات الأورالية الالتائية وهى ليست موضوع بحثنا هذا :

وظاهرة الالصاق — فى أول الكلمة أو فى وسطها أو فى آخرها — معروفة فى لغات كثيرة مثل لغة الهوسا ، حيث يتقبل أصل الكلمة أنواع اللواصق الثلاث ، وعندما تقترض كلمة من الكلمات العربية تخضعها لنظام الإلصاق المتبع فيها ، والالصاق فى لغة الهوسا هو موضوع هذا البحث . وتقوم مادتة على ماجمعت من كلمات عربية مقترضة فى لغة الهوسا أثناء قراءتى لكتب الأدب الهوسوى وتحليلها لغوياً ، وبيان هذه الكتب فى ثبت المراجع فى نهاية هذا البحث .

وقد قسمت البحث إلى ثلاثة أقسام تناولت فى القسم الأول السوابق ، وفى القسم الثانى الدواخل ، وفى القسم الثالث اللواحق ، وقد استعملت الرمز /</ للدلاله على التحول ، وفصلت بين اللاصقة والأصل بالرمز /—/ وعند الحديث عن الصيغه اللغوية العربية المقترضة فى لغة الهوسا يشار إليها على النحو الآتى فى هذا المثال . كلمة عقل < hankali ، أى أن الكلمة العربية « عقل » دخلت لغة الهوسا فصارت هكذا hankali ، ونظرا لكون بعض الكلمات اشتقت فى لغة الهوسا من مواد عربية أو تغيرت دلالتها عنها فإن الإشارة الى المعنى تكون بعلامة = فمثلا كلمة مستعير ma-?rii ، ولا يعنى هذا أن الكلمة العربية مستعير قد دخلت لغة الهوسا بل يعنى أن الكلمة الهوسوية المذكورة معناها فى العربية مستعير .

أولا : السوابق Prefixes

تتمثل هذه الظاهرة فيما يضاف إلى أصل الكلمة المقترضة من أصوات لتؤدى وظيفة صرفية معينة كما يحدث فى حالة تكوين إسم الفاعل وإسم المكان والنسب .

١ — اسم الفاعل :

يتكون إسم الفاعل فى لغة الهوسا باضافة السابقة /ma-/ إلى بداية الاسم الدال على الحدث . وإبدال الحركة الأخيرة من الاسم بـ /-ii/ فى حالة المذكر و /-iiyaa/ فى حالة المؤنث و /aa/ أو /ay/ فى حالة الجمع بنوعية .

مثال من لغة الهوسا :

خياطة	=	.dinka
خياط	=	ma-.dink-ii
خياطة	=	ma - .dink - iiyaa
خياطون أو خياطات		ma - .dink - aa

---

(١) انظر : Woolner A.C : Languages in History and politics oxford University press 1938 P. 41.

أمثلة من الكلمات العربية المقترضة في لغة الهوسا :

أعار[1] < ?ara واستعملت الكلمة في معناها الأصلي ثم أضيفت إليها اللواصق لتكوين اسم الفاعل من المعنى الأصلي على النحو التالي :

مستعيرة	=	ma - ?ar - ii
مستعيرة	=	ma - ?ar - iiyaa
مستعيرون أو مستعيرات		ma - ?ar - aa

دام < dawwama استعملت الكلمة في معناها الأصلي بمعنى الدوام ثم أضيفت إليها اللواصق لتكوين اسم الفاعل من الفعل الأصلي على النحو التالي :

دائم	=	ma - dawwam - ii
دائمة	=	ma - dawwam - iiyaa-
دائمون أو دائمات		ma - dawwam - aa-

حارب < harba ثم استعملت الكلمة استعمالا مجازيا بمعنى صاد وأضيفت إليها اللواصق لتكوين اسم الفاعل من المعنى المجازي على النحو التالي :

صياد	=	ma - harb - ii
صيادة	=	ma - harb - iiyaa-
صيادون أو صيادات		ma - harb - aa-

حسد < hassada ثم استعملت الكلمة في معناها الأصلي وأضيفت إليها اللواصق لتكوين اسم الفاعل من المعنى الأصلي على النحو التالي :

حاسد	=	ma - hassada - ii
حاسدة	=	ma - hassad - iiyaa
حاسدون أو حاسدات		ma - hassad - aa-

ستر < sutuura ثم استعملت الكلمة استعمالا مجازيا بمعنى تزيّن بالثياب وأضيفت إليها اللواصق لتكوين إسم الفاعل أو الصفة من المعنى المجازي على النحو التالي :

متزين بالثياب	=	ma - stuur - ii
متزينة بالثياب	=	ma - stuur - iiyaa
متزينون أو متزينات بالثياب	=	ma - stuur - ay

زان < zaana ثم استعملت الكلمة في معناها الأصلي بمعنى زين وفي معنى مجازي رسم ثم أضيفت إليها اللواصق لتكوين اسم الفاعل من المعنى الأصلي .

مزين	=	ma - zaan - ii
مزينة	=	ma - zaan - iiyaa
مزينون أو مزينات	=	ma - zaan - aa-

(ب) وفي حالة انتهاء الاسم الدال على الحديث بالمقطع /-ta/ يستبدل صوت /t/

(١) ? — الهمزة

بصوت /t sh/ قبل الحركة الأمامية الضيقة /i-/ على النحو التالى :

حدث < haddata ثم استعملت الكلمة استعمالا مجازيا بمعنى حفظ القرآن الكريم وأضيفت إليها اللواصق لتكوين اسم الفاعل من المعنى المجازى على النحو التالى :

ma - haddatsh-ii	=	حافظ للقرآن
ma-haddatsh-iiyaa	=	حافظة للقرآن
ma-haddat-aa	=	حافظون أو حافظات للقرآن

حكم[1] hukunta ثم استعملت الكلمة فى معناها الأصلى وأضيفت إليها اللواصق لتكوين اسم الفاعل من المعنى الأصلى على النحو التالى :

ma-hukuntsh-ii	=	حاكم
ma-hukuntsh-iiyaa	=	حاكمة
ma-hukunt-aa	=	حاكمون أو حاكمات

همّ < himmanta ثم استعملت الكلمة فى معناها الأصلى وأضيف إليها اللواصق لتكوين اسم الفاعل أو الصفة من المعنى لأصلى على النحو التالى :

ma-himmantsh-ii	=	ذو همة أو نشيط
himmantsh-iiyaa	=	ذات همة أو نشيطة
ma-himmant-aa	=	ذوو أو ذوات همة أو نشاط

كما < kammanta ثم استعملت الكلمة استعمالا مجازيا بمعنى شابه أو ماثل ثم أضيفت إليها اللواصق لتكوين الفاعل من المعنى المجازى على النحو التالى :

ma-ka,mantsh-ii	=	شبيه
ma-ka,mantsh-iiyaa	=	شبيهة
ma-kamant-aa	=	شبيهون أو شبيهات

لازم < lizimta ثم استعملت الكلمة فى معناهاالأصلى وأضيفت إليها اللواصق لتكوين اسم الفاعل من المعنى الأصلى على النحو التالى :

ma-lizimtsh-ii	=	ملازم
ma-lizimtsh-iiyaa	=	ملازمة
ma-lizimt-aa		ملازمون أو ملازمات

نعمة < ni?mta ثم استعملت الكلمة استعمالا مجازيا بمعنى خصب وأضيفت إليها اللواصق لتكوين الصفة على النحو التالى :

ma-ni?imtsh-ii	=	مكان خصب
ma-ni?imtsh-iiyaa	=	أرض خصبة
ma-ni?imt-aa	=	أماكن أو أراض خصبة

سفر < safara < safarta ثم استعملت الكلمة استعمالا مجازيا بمعنى تجول بقصد بيع السلعة وأضيفت

---

(١) ش = sh

إليها اللواصق لتكوين اسم الفاعل من المعنى المجازى على النحو التالى :

بائع متجول = ma-safartsh-ii

بائعة متجولة = ma-safartsh-iiyaa

بائعات أو باعة متجولون = ma-safart-aa

صلى < sallata ثم استعملت الكلمة فى معناها الأصلى وأضيفت إليها اللواصق لتكوين اسم الفاعل من المعنى الأصلى على النحو التالى :

مصلى = ma-sallaatsh-ii

مصلية = ma-sallaatsh-iiyaa

مصليون أو مصليات = ma-sallaat-aa

شاور < shaawarta ثم استعملت الكلمة استعمالا مجازيا بمعنى نصح واضيفت إليها اللواصق لتكوين اسم الفاعل أمن المعنى المجازى على النحو التالى :

ناصح = ma-shaawartsh-ii

ناصحة = ma-shaawartsh-iiyaa

ناصحون أو ناصحات = ma-shaawarti-aa

سحر < sihirta ثم استعملت الكلمة فى معناها الأصلى وأضيفت إليها اللواصق لتكوين اسم الفاعل من المعنى الأصلى على النحو التالى :

ساحر = ma-sihirtsh-ii

ساحرة = ma-sihirtsh-iiyaa

ساحرون أو ساحرات = ma-sihirt-aa

وقد شذ عن القاعدة المثال التالى حيث حذف المقطع /-ta/ الدال على اسم الحدث واستعمل أصل الكلمة المقترضة على النحو التالى :

فتن < fitinta ثم استعملت الكلمة استعمالا مجازيا بمعنى أثار الفتنة وأضيفت إليها اللواصق لتكوين اسم الفاعل من المعنى المجازى كما يلى :

مثير للفتنة = ma-fitin-ii

مثيرة للفتنة = ma-fitijn-iyaa

مثيرون أو مثيرات للفتنة = ma-fitin-aa

(ج) ويستبدل صوت /s/ بصوت /sh/ إذا تلاه حركة الكسرة الطويلة /ii/ على النحو التالى :

فلس < fallasaa ثم استعملت الكلمة استعمالا مجازيا بمعنى كشف السر أو فضح أو اغتاب ثم أضيفت إليها اللواصق لتكوين اسم الفاعل من المعنى المجازى

نمام = ma-fallash-ii

نمامة = ma-fallash-iiyaa

نمامون أو نمامات = ma-fallas-aa

٢ ــ اسم المكان :

يتكون اسم المكان فى لغة الهوسا باضافة السابقة /-ma/ إلى بداية الاسم الدال على الحدث ، وابدال الحركة الأخيرة من الاسم بالحركة الأمامية الضيقة /-ii/ أو الأمامية

المتسعة /-aa/ فى حالة المفرد والحركة المركبة /-ay/ فى حالة الجمع على النحو التالى :
مثال من لغة الهوسا :

nooma = الزراعة .

ma-noom-ii = مزرعة

ma-noom-ay = مزارع

بعض الأمثلة من الكلمات العربية المقترضة فى لغة الهوسا .

hukunta > حكم ثم استعملت الكلمة فى معناها الأصلى وأضيفت إليها اللواصق لتكوين اسم المكان على النحو التالى :

ma-hukunt-aa = محكمة

ma-hukunt-ay = محاكم

karanta > قرأ ثم استعملت الكلمة فى معناها الأصلى وأضيفت إليها اللواصق لتكوين اسم المكان من المعنى الأصلى على النحو التالى :

ma-karant-aa = مدرسة أو مقرأة

ma-karant-ay = مدارس أو مقارئ

safara > safarta ثم استعملت الكلمة استعمالا مجازياً بمعنى تجول بقصد البيع ، وأضيفت إليها اللواصق لتكوين اسم المكان من المعنى المجازى على التحو التالى :

ma-safart-aa = منطقة تجول البائع المتجول

ma-safart-ay = مناطق تجول البائع المتجول

sallataa > صلى ثم استعملت الكلمة معناها الأصلى وأضيفت إليها اللواصق لتكوين اسم المكان من المعنى الأصلى على النحو التالى :

ma-sallaatsh-ii = مصلى

ma-sallaat-ay = مصليات

٣ – النسب :

يتم النسب فى لغة الهوسا بأحدى الطريقتين التاليتين :

(أ) باضافة السابقة /-ba/ إلى بداية الاسم الدال على الحدث المراد النسبة إليه ، مع حذف الحركة النهائية من الاسم وإضافة اللاحقة /-ii/ أو /-ee/ فى تغير غير مشروط فى حالة المذكر و /-iiyaa/ فى حالة المؤنث و /-aawaa/ فى حالة الجمع بنوعيه على النحو التالى :

مثال من لغة الهوسا :

Barnu = برنو = منطقة فى شرق نيجيريا .

ba-barn-ee = رجل من برنو أو برناوى

ba-barn-iiyaa = امرأة من برنو أو برناوية

barn-aawaa = رجال أو نساء من برنو

أمثلة من الكلمات العربية المقترضة فى لغة الهوسا :

١ ــ أسماء تنتهى بـ /-ii/ فى حالة المذكر

النبى	<	?annabii
نبوى	=	ba-?annab-ii
نبوية	=	ba-?annab -iiyaa
نبويون أو نبويات	=	?annab-aawaa
مالك	<	maalik
مالكى	=	ba-maalik-ii
مالكية	=	ba-maalik-iiyaa
مالكيون أو مالكيات	=	maalik-aawaa
مصر	<	masar
مصرى	=	ba-masar-ii
مصرية	=	ba-masar-iiyaa
مصريون أو مصريات	=	masar-aawaa
تركيا	<	turki
تركى	=	ba-turk-ii
تركية	=	ba-turk-iiyaa
أتراك أو تركيات	=	turk-aawaa

٢ ــ أسماء تنتهى بـ /-ee/ فى حالة المذكر .

آدم	<	?aadam
آدمى	=	ba-?aadam-ee
آدمية	=	ba-?aadam-iiyaa
آدميون أو آدميات	=	?aadam-aawaa
الحبشة	<	habasha
حبشى	=	ba-habash-ee
حبشية	=	ba-habash-iiyaa
أحباش أو حبشيات	=	harbash-aawaa
قادر	<	kaadir
قادرى	=	ba-kaadir-ee
قادرية	=	ba-kaadir-iiyaa
قادريون أو قادريات	=	kaadir-aawaa
عرب	<	larabii
عربى	=	ba-larabe-ee
عربية	=	ba-larab-iiyaa
عرب أو عربيات	=	larab-aawaa
النصرانية	<	nasaara
نصرانى	=	ba-nasaar-ee
نصرانية	=	ba-nasaar-iiyaa
نصرانيون أو نصرانيات	=	nasar-aawaa

(ب) باضافة كلمة[1] /.dan/ بمعنى أبن فى حالة المذكر ، و /?yar/ بمعنى ابنة فى حالة المؤنث و /?yan/ بمعنى أبناء أو بنات فى حالة الجمع بنوعيه

---

(١) /.d/ = ط إلا أن الصوت /.d/ يحدث الا نفجار فيه بشفط الهواء إلى الداخل .

قبل الإسم الدال على الحدث على النحو التالى :

مثال من لغة الهوسا :

kaasuwa = سوق

سوقى أى تاجر (يبيع فى السوق) = dan-kaasuuwa.

سوقية أى تاجرة (تبيع فى السوق) = ?yar-kaasuuwa

تجارة أو تاجرات (يبيعون فى السوق) = ?yan-kaasuuwa

بعض الأمثلة من الكلمات العربية المقترضة فى لغة الهوسا :

jariida > صحيفة أو جريدة

dan-jariida. = صحفى

?yar-jariida = صحفية

?yan-jariida = صحفيون أو صحفيات

duuniiya > دنيا

dan-duuniiya. = دنيوى

?yar-duuniiya = دنيوية

?yan-duuniiya دنيويون أو دنيويات

siyaasa > سياسة

dan-siyaasa. = سياسى

?yar-siyaasa = سياسية

?yan-siya = سياسيون أو سياسيات

ma-karaanta > مدرسة أو مقرأة

dam-makaranta. = مدرسى أى طالب بالمدرسة

مدرسية أى طالبة بالمدرسة = ?yar-makaranta

مدرسيون أو مدرسيات أى طلاب أو طالبات = ?yan-makaranta

?aadam > آدم

dan-?aadam. = آدمى

?yar-?aadam = آدمية

?yan-?aadam = آميون أو آدميات

?azumi > صوم ثم تحول معناها إلى شهر رمضان :

dan-?azumi. = رمضانى أى مولود فى شهر رمضان

?yar-?azumi = رمضانية أى مولودة فى شهر رمضان

?yan-?azumi = رمضانيون أو رمضانيات

ruwa > روى ثم استعملت الكلمة بمعنى ماء :

dan-ruwa. = مائى والمقصود عروس البحر

?yar-ruwa = مائية والمقصود عروسة البحر

yna-ruwa = مائيون أو مائيات

ثانيا : الدواخل Infixes

تتمثل هذه الظاهرة فى حالتين هما إضافة بعض الأصوات الصامتة ، وإضافة حركة قصيرة أو طويلة بين الصوتين الصامتين للفصل بينهما حتى تساير الكلمة العربية المقترضة

نظام بناء الكلمة فى لغة الهوسا . حيث يسود التتابع CV و CVV على النحو التالى :

أولا : اضافة الأصوات الصامتة :

(أ) حدثت هذه الظاهرة فى كلمات قليلة فيما جمعت من مادة علمية فى التتابعات الآتية :

١ — التتابع $C_1VC_2C_2V$ حيث يضعف الصوت الصامت الثانى :

مثال :

صفة < siffa

٢ — التتابع $C_1VC_2C_2VC_3V$ حيث يضعف الصوت الصامت الثانى أمثلة ·

الرزق	<	?azziki
دام	<	dawwama
حسد	<	hassada
جمعة	<	jumma?a
كلف	<	qallafa
ملك	<	mallaka
ثبت	<	tabbata
وصف	<	wassafa

٣ — التتابع $C_1VC_2VC_3C_3V$ حيث يضعف الصوت الصامت الثالث .

مثال :

جملة	jimilla	فقه
	<	<
CiCiCii		fiqihu

(ب) إضافة صوت /n/ على النحو التالى :

١ — فى التتابع $C_1VC_2C_3VC_4V$ حيث يكون صوت /n/ هو الصوت الثانى .

مثال :

عقل < hankali

فى التتابع $C_1VC_2C_3VVC_4V$

مثال :

لحام < linzaami

٢ — فى التتابع

$C_1VC_2C_3VC_4C_5VC_6VVC_7V$

حيث يكون صوت /n/ هو الصوت الرابع

مثال :

استغفار < ?istingifaari

ثانيا : اضافة حركة :

تضاف حركة قصيرة أوطويلة لمنع التقاء الصوتين الصامتين فى التتابعات الآتية :

(أ) فى التتابع CVCCV على النحو التالى :

١ — CiCCV < CiCiCU

الأمثلة :

حقد < biqidu

فقه	<	fiqihu
jimilla	<	CiCiCii

ملحوظة : C = أى صوت صامت . V = أى حركة قصيرة ، VV = أى حركة طويلة

(١) q = ق

الأمثلة :

صفر < sifirii

إذن < ?izinii

CiCuCii <

مثال :

حزب < ?izufii

CuCuCii <

مثال :

ورد < wurudii

٢ – CiCCa

CiCiCa <

الأمثلة

بدعة < bidi?a

خدمة < hidima

فتنة < fitina

قبلة < qibila

نعمة < ni?ima

CiCiiCaa <

مثال :

جزية < jiziiya

CaCaCaa <

مثال :

رشوة < rashawaa

٣ – CaCCV

CaCaCi <

الأمثلة :

أصل < ?asali

عكس < ?akasi

بحث < bahasi

درس < darasi

فخر < fahari

قبر < kabari

لحن < lahani

شأن < sha?ani

وعظ < wa?azi

CaCaCii <

الأمثلة :

بعد < ba?adii

فصل < fasalii

حرف < harafii

كسب < kasabii

رأى < ra?ayii

شرط < shara.dii

CaCaaCi <

مثال :

صحن < sahaani

CaCaCi <

مثال :

فقر < faqari < CuCuCCii

مثال :

أمر ?umurnii < CaCCa — ٤

الأمثلة :

فترة < fatara < CaCaCa

معنى < ma?ana

رحمة < rahama

CuCCuV — ٥

CuCiCa <

مثال :

عشر < ?ushira < CuCuCi <

الأمثلة :

عذر < ?uzuri

خمس < humusi < Cu CuCii <

مثال :

شؤم < shu ?umii < CuCuCCa <

مثال :

حكيم < hukunta < CuCuCu <

الأمثلة :

حزن < huzunu

صاح < suluhu < CuCuCa

٦ — CuCCa <

مثال :

ستر < sutura < CVCCVV (ب) التتابع

CaCCaa < CaCaCaa

الأمثلة :

دعوى < da?awaa

شكوى < shakawaa < CVCCVCV (ح)

١ — CiCCiCV < CiCiCiCa

مثال :

فهرس < fihirisa < CaCCiCV — ٢ < CaCiCiCa

مثال :

مغرب < magiriba < CaCCaCV — ٣ < CaCaCa

مثال :

أرخص < ?araha < CaCCaCa — ٤ < CaCaCa

مثال :

كسل < kasala

٥ — CaCCuCV < CaCaCuuCi

مثال :

مخلوق < mahaluuki

مصروف < masaruufi

٦ — CuCCiCV < CuCCiCu

مثال :

مسلم < musulmii

٧ — CuCCaCV < CuCuCaCii

مثال

مفرد < mufuradii

(د) CVCCVVCV < CiCiCaaCi

مثال :

إقرار < ?ikiraari

(هـ) CVCCVCCV

١ — CaCCiCCV < CaCCiCiCi

مثال :

ألبشر < ?albishiri

٢ — CaCCaCCV < CaCCiCiCi

مثال :

الفجر < ?alfijiri

< CaCCaCaCii

مثال :

الأمر < ?al?amarii

٣ — CaCCaCCa < CaCCaCaCa

مثال :

القرية < ?alkaraya

٤ — CaCCuCCv < CaCuCaCi

مثال :

الصبح < ?asubahi

ثالثا : اللواحق Suffixes

تتمثل هذه الظاهرة فى اللواصق التى تضم إلى الكلمة العربية المقترضة لتؤدى وظيفة صرفية . كجمع الاسم المفرد أو تأنيث المذكر أو تكوين الصفة أو الاسم الدال على الحدث أو الدال على الزمن . أو تحويل الفعل اللازم إلى فعل متعد أو الاسم المنسوب[1] إلى المكان فى حالة الجمع .

١ — جمع الاسم :

هناك عدة أنماط لجمع الاسم المقترض من اللغة العربية فى لغة الهوسا منها :

أولا : أضافة مورفيم الجمع /-ooCii/ إلى جذر الكلمة بعد حذف الحركة الأخيرة منه .

ثانيا : إضافة أحد متغيرات مورفيم الجمع /ooCii/ بعد حذف الحركة الأخيرة من الجذور .

ثالثا : حدوث تغايرات صوتية فى الجذر مع إضافة متغاير مورفيم الجمع .

---

(١) انظر النسب .

رابعا : بحدوث متغايرات فى الجذر .

أولا : إضافة مورفيم الجمع /-ooCii/ حيث يمثل C الصوت الصامت الأخير .

مثال من لغة الهوسا :

hanya	=	طريق	
hanya + ooyii	> hanyooyii =	طرق	
?al?aada	=	العادة	
?al?aada+oodii	> ?al?adoedii =	العادات	
daraja	=	درجة	
daraja + oojii	> darajoojii =	درجات	
hujja	=	حجة أو سبب	
	=	حجج أو أسباب	
hujja + oojii	> hujjoojii		
jama?a	=	جماعة	
jama?a + oo?ii	> jama?ooii =	جماعات	
kalma	=	كلمة	
kalma + oomii	> kalmoomii =	كلمات	

ثانيا : إضافة متغاير مورفيم الجمع /-ay/ إلى نهاية الجذر بعد حذف الحركة الأخيرة منه .

مثال من لغة الهوسا :

doogari	=	رجل الشرطة	
doogari + ay	dogaray	رجال الشرطة	

أمثلة من الكلمات العربية المقترضة فى لغة الهوسا :

?amiini	=	مخلص	
?amiini + ay	> ?amiinay =	مخلصون	
?asiiri	=	سر	
?asiiri + ay	> ?asiiray =	أسرار	
farilla	=	فريضة	
farilla + ay	> farillay =	فرائض	
kaafirii	=	كافر	
kaafirii + ay	> kaafiray =	كفار	
maakirii	=	ماكر	
maakirii + ay	> maakiray =	ماكرون	

إضافة المتغاير /-aayee/ إلى نهاية الجذر بعد حذف الحركة الأخيرة منه :

مثال من لغة الهوسا :

bookaa	=	الطبيب الساحر
	=	الأطباء السحرة
bookaa + aayee	> bookaayee	

مثال من الكلمات العربية المقترضة فى لغة الهوسا :

haali	=	حال أو خلق
	=	أحوال أو أخلاق
haali + aayee	> haalaayee	

اضافة متغاير الجمع /aawaa/ إلى نهاية الجذر بعد حذف الحركة الأخيرة منه . وهذه النهاية ترد فى جمع الأسماء المنسوبة إلى المكان كما سبق بيانة واستعملت كنهاية المفرد فى المثالين التاليين .

?annabi	=	النبى
?annabi+aawaa	> ?annabaawaa =	الانبياء
kaafirii	=	كافر

كفار = Kaafirii+aawaa > Kaafiraawaa

إضافة متغاير الجمع / uu- / بعد حذف الحركة الأخيرة من الاسم

مثال من الهوسا :

دبك = zakara

zakara + uu > zakaruu

أمثلة من الكلمات العربية المقترضة في لغة الهوسا :

خبر = laabaarii

أخبار = laabaairi + uu > laabaaruu

وثيقة أو رسالة = wasiiqa

وثائق أو رسائل = wasiiqa + uu > wasiiquu

وصية = wasiyya

وصايا = wasiyya + uu > wasiyyuu

إضافة متغاير الجمع /una/ بعد حذف الحركة النهائية من الجذر .

مثال من لغة الهوسا :

نهر = raafi

أنهار = raafi + una > raafuna

مثال من الكلمات العربية لمقترضة

اللوح = ?alloo

الألواح ?llaoo + una > ?alluna

ثالثا : إضافة متغاير الجمع /uCCuka/ حيث يكون CC تكرار للصوت الصامت الأخير من الاسم .

مثال من لغة الهوسا :

ليلة = dare

ليال = dare + urruka > darurruka

أمثلة من الكلمات العربية المقترضة

حال أو خلق = haali

أحوال أو أخلاق = haali + ulluka > haalulluka

خبر = laabaarii

أخبار = laabaarii + rurruka > laabaarurruka

شأن = sha?ani

شئون = sha?ani + unnuka > sha?anunnuka

إضافة المتغاير /ucca/ حيث يكون CC تكرار للصوت الصامت الأخير من الاسم .

مثال من لغة الهوسا :

سيف = $t_1ak_2ub_3i$

سيوف = $t_1ak_2ubb_{33}a$

أمثلة من الكلمات العربية المقترضة :

أجل = ?ajali

آجال = ?ajali + ulla > ?ajulla

الأمر = ?al?amari

الأمور = ?al?amari + urru > ?al?amurra

حزب = haizifii

أحزاب = hizifii + uffa > hizuffa

شرط = shara.di

شروط shara.di+a.d.da > sharu.d.da

ورد = wurudii

أوراد = wurudda wurudii + udda

رابعاً : بوقوع تغايرات فى الجذر :

أمثلة من لغة الهوسا :

عنزة	=	?akuuya
عنزات	=	?awaaki >
قلب	=	zuutshiya
قلوب	=	zukaataa >

أمثلة من الكلمات العربية المقترضة :

قبر	=	kabari
قبور	=	kaburubura >
نافلة	=	naafila
نوافل	=	naafilfili >
فوح	=	shagali
أفراح	=	shagulgula >
رأى	=	shaaware
آراء	=	shawarawrii >

٢ ــ التأنيث :

لتأنيث الاسم المذكر تحذف الحركة الأخيرة منه وتضاف إلى نهايته لاحقة التأنيث على النحو التالى :

(أ) اللاحقة /-aa/

مثال من الهوسا :

حمار	=	jaakii
حمارة	=	jaakaa >

أمثلة من الكلمات العربية المقترضة فى لغة الهوسا :

جائر	=	jaa ?airii	
جائرة	=	jaa ?iraa	>
رب البيت	=	qaa ?imi	
ربة البيت	=	qaa ?imaa	>
كافر	=	kaafirii	
كافرة	=	kaafiraa	>
مبذر	=	mubazzarii	
مبذرة	=	mubazzaraa	>
مشرك	=	mushrikii	
مشركة	=	mushrikaa	>
نادر	=	naadirii	
نادرة	=	naadiraa	>

(ب) اللاحقة /iiyaa/

مثال من لغة الهوسا :

والد	=	mahayfii
والدة	=	mahayfiiyaa >

أمثلة من الكلمات العربية المقترضة فى لغة الهوسا :

عابد	=	?aabidii	
عابدة	=	?aabiidiyaa	>
فقير	=	faqiiri	
فقيرة	=	faqiiriiyaa	>
مسكين	=	maskiini	
مسكينة	=	maskiiniiya	>
متزين بالثياب	=	mastuurii	
متزينة بالثياب	=	mastuuriiyaa	>

مشهور = mashahuuri

مشهورة = mashahuuriiyaa > mashahuuriiyaa

شقيق = shaqiiqi

شقيقة = shaqiiqiiyaa > shaqiiqiiyaa

٣ ــ الصـــفة :

تشتق الصفة من الأسم فى لغة الهوسا بقلب الحركة الأخيرة إلى a ــ وتضعيف الصوت الصامت الأخير متبوعاً بالحركة/ ee / فى حالة المذكر / iiyaa / ــ وفى حالة المؤنث / uu / فى حالة الجمع بنوعيه وهو مايحدث بالنسبة للكلمات العربية المقترضة فى لغة الهوسا ــ كما هو موضح فى الأنماط التالية :

C_1VC_2V	>	
C_1VC_2—a C_2C_2 ee	>	المذكر
C_1V_2C-aC_2C_2iiyaa	>	المؤنث
C_1VC_2-aC_2C_2u	>	الجمع بنوعيه
$C_1VC_2VC_3V$	>	
$C_1VC_2VC_3$—aCC_{33}ee	>	المذكر
$C_1VC_2VC_3$—aCCiiyaa	>	المؤنث
$C_1V_2CVC_3$-a$_3CC_3$uu	>	الجمع بنوعية

مثال من لغة الهوسا .

raamaa		نحافة =
raamaa+ammee	> raamammee	نحيف =
		نحيفة =
raamaa+ammiiyaa	> raamammiiyaa	

نحاف أو نحيفات = raamaa + ammuu > ramaammuu

أمثلة من الكلمات العربية المقترضة

أدب = ?addaba

مؤدب = ?addaba + abbee > ?adadababbée

مؤدبة = ?addaba + abbiiyaa > ?addababbiiyaa

مؤدبون أو مؤدبات = ?addaba + abbuu > addababbuu

أمانة أو أخلاص[1] = ?aminta

أمين أو مخلص = ?aminta + atshtshee > ?amintatshtshee

أمينة أو مخلصة = ?aminta+atshtshiiyaa > ?amintatshtshiyaa

أمناء أو أمينات = ?aminta + attuu > ?amintattuu

دوام = dawwama

دائم = dawwama + ammee > dawwamammee

دائمة = dawwama+ammiiyaa > dawwamammiiyaa

دائمون أو دائمات = dawwama + ammu dawwamammu

فهم = fahimta

(١) t + e ' i > tshe

مفهوم =

fahimta + atshtshee > fahimtatshtshee

مفهومة =

fahimta + atshtshiiyaa > fahimtatshtshiiyaa

مفهومات =

fahimta + attuu > fahimtattuu

خيانة = haa ?inta

خائن =

haa ?inta + atshtshee > haa ?intatshtshee

خائنة =

haa ?inta + atshtshiiyaa > haa ?intatshtshiya

خائنون أو خائنات =

haa ?inta + attuu > haa ?intattuu

لعنة = la ?ana

ملعون =

la ?ana + annee > ana ?anannee

ملعونة =

la ?ana + anniiyaa > la ?ananniiyaa

ملعونون أو ملعونات =

la ?ana + annuu > la ?anannuu

عافية = laafiiya

معافى أو سليم =

laafiiya + ayyee > laafiiyayyee

معافاة أو سليمة =

laafiiya + ayyiiyaa > laafiiyayyiiyaa

معافون أو سالمون معافات أو سليمات =

laafiiya + ayyuu > laafiiyayyuu

٤ ـ الاسم الدال على الحدث[1] :

يتكون الأسم الدال على الحدث فى لغة الهوسا بأضافة اللاحقة ـ /-tshi/ أو /-antsih/ إلى نهاية الجذر ، بعدحذف الحركة الأخيرة منه . وهذا يحدث بالنسبة للكلمات العربية المقترضة فى لغة الهوسا كما يتضح من الأمثلة التالية :

١ـ إضافة اللاحقة /antshi/

مثال من لغة الهوسا .

bookaa = الطبيب الساحر أو الكاهن

bookaa + antshi > bookantshi كهانة

أمثلة من الكلمات العربية المقترضة فى لغة الهوسا :

?ajuuzi = شيخ

?ajuzi + antshi > ?ajuuzantshi شيخوخة

?alkaali القاضى

?alkaali + antshi > ?alkaalantshi تولى القضاء

---

(١) وهو يدل فى اللغة العربية على المصدر ، وقد تجنبت اصطلاح المصدر حتى لا يفهم منه أنه أصل المشتقات وهذه الكلمة الدالة على الحدث ليست أصل المشتقات فى لغة الهوسا .

مبذر = ?almubazzarii

التبذير = ?almubazzarii+antshi > ?almubazzarantshi

الواش = ?annamiimi

الوشاية = ?annamiimi + antshi > ?annamiimantshi

فاحش أو بذئ اللسان = ?ashar

فحش أو بذاءة = ?ashar + antshi > ?asharantshi

بليد أو متخلف دراسياً = baliidi

بلادة أو تخلف = baliidi + antshi > baliidantshi

بائع متجول = dillaali

تجارة التجول = dillaali + antshi > dillaalantshi

فاسق = faasikii

فسق = faasikii + antshi > faasikantshi

غريب = gariibi

غربة = gariibi + antshi > garibantsi

وزير = waziiri

ولاية الوزارة = waziiri + antshi > waziirantshi

٢ ــ إضافة اللاحقة /tshi/ ــ وهى نادرة الأستعمال فى لغة الهوسا ــ حيث يكثر استعمال اللاحقة السابقة ــ ولكن تستعمل كثيراً مع الكلمات المقترضة على النحو التالى :

مثال من لغة الهوسا :

الزوجة المكروهة من زوجها = boora

كراهية الزوج لزوجته =

boora + tshi > booratshi

أمثلة من الكلمات العربية المقترضة فى لغة الهوسا :

عدالة = ?adaala

العدل ?adaala + tshi > ?adaltshi

أمين أو موضع ثقة = ?amiini

الأمانة أو موضع الثقة =

?amiini + tshi > ?amintshi

النبى = ?annabi

النبوة = ?annabi + tshi > ?annabtshi

فاجر = faajirii

الفجور = faajirii + tshi > faajirtshi

غادر = gaadirii

الغدر = gaadirii + tshi > gaadirtshi

إيمان = ?iimaani

إيمان = ?iimaani + tshi > ?iimaantshi

جاهل = jaahilii

الجهل = jaahilii + tshi > jaahiltshi

جائر أو عديم الحياء = jaa?irii

الجور أو عدم الحياء =

jaa?irii + tshi > jaa?irtshi

كافر = kaafirii

الكفر = kaafirtshi < kaafirii + tshi

قواد النساء = kawaali

قوادة نساء = kawaali + tshi > kawaltshi

ماكر = maakirii

المكر = maakirtshi < maakirii + tsh

٥ – الاسم الدال على الزمن :

عند اشتقاق الاسم الدال على الزمن من الكلمة العربية المقترضة فى لغة الهوسا تحذف الحركة النهائية من الكلمة ، ثم تضاف اللاحقه /t/ متبوعة بالحركة /a/ أو أحد متغيراتها من الحركات المعروفة فى لغة الهوسا وهى /i/ e / o / u/ ، حسب ماهو متبع فى اللغة ، وفى حالة وجود الحركتين الأماميتين /e/ أو /i/ يستبدل صوت /t/ بصوت /tsh/ ، ولتكوين الفعل توضع مورفيمات الزمن المطلوب قبل الاسم الدال على الحدث :

اللاحقة /t/ متبوعة بالحركة /a/ أو /aa/ .

الأمثلة : أجل = ajalii

?ajalii + taa > ?ajaltaa

(ا) الماضى

ضمير المتكلم :

naa ?ajaltaa - masa أجلت ، له .

mun ?ajaltaa , mata أجلنا ، لها .

ضمائر المخاطب :

kaa ?ajaltaa , musu أجلت ، لهم

kin ?ajaltaa , mini أجلتى ، لى .

kun ?ajalta , mana أجلتم ، لنا .

ضمائر الغائب :

yaa ?ajaltaa , maka أجل ، لَكَ .

taa ?ajalta , miki أجلت ، لَكِ .

أجلوا أو أجلن ، لكم أو لكن

sun ?ajaltaa , muku

(ب) الحاضر :

ضمير المتكلم :

?inaa ?ajaltaa , masa أأجل ، له .

munaa ?ajaita , mataa نؤجل ، لها .

ضمائر المخاطب :

kanaa ?ajaltaa , musu. تؤجل ، لهم

kinaa ?ajaltaa , mini تؤجلين ، لى

تؤجلون أو تؤجلن ، لنا .

kunaa ?ajaltaa , mana

ضمائر الغائب :

yanaa ?ajaltaa , maka يؤجل ، لكَ .

tanaa ?ajaltaa , miki تؤجل ، لكِ .

يؤجلون أو يؤجلن ، لكم أو لكن .

sunaa ?ajaltaa, muku

(ج) المستقبل :

ضميرا المتكلم :

zan ?ajaltaa , masa ستؤجل ، له

zaamu ?ajaltaa mata سنؤجل ، لها :

ضمائر المخاطب :

zaaka ?ajaltaa , musu . ستؤجل ، لهم

zaaki ?ajaltaa , mini . ستؤجلين ، لى

zaaku ?ajaltaa , mana . ستؤجلون ، لنا

ضمائر الغائب :

zay ?ajaltaa , maka . سيؤجل ، لك

zaata ?ajaltaa , miki . ستؤجل ، لك

سيؤجلون أو سيؤجلن : لكم أو لكن :

zaasu ?ajaltaa , muku

وهكذا يجرى تكوين الاسم الدال على الزمن من الكلمات العربية المقترضه فى لغة الهوسا .

وفيما يلى بعض الكلمات العربية المقترضه واشتقاق الاسم الدال على الزمن منها مجردا من المورفيمات الدالة على الزمن :

الأمثلة :

عكس = ?akasii

?akasii + taa > ?akastaa

القاضى = ?alkaalii

?alkaalii + taa > ?alkaltaa

أمين أو مخلص = ?amiini

?amiini + taa > ?amiintaa

فهم = fahima

fahima + taa > fahimtaa

فرض = faralii

faralii + taa > faraltaa

فصل = fasali

fasalii + taa > fasaltaa

faasikii = فاسق

faasikii + taa > faasiktaa

gaafara = غفر

gaafara + ta > gaafarta

harama = حرم

harama + taa > haramtaa

jaahilii = جاهل

jaahilii + taa > jaahiltaa

المتغاير /-ant/

faa ?ida = فائدة

faa ?ida + anta > faa ?idanta

hakiika = حقيقة

hakiika + anta > hakiikanta

himma = همة

himma + anta > himmanta

jama ?a = جماعة

jama ?a + anta > jama ?anta

٦ ـ التعدى :

يتحول الفعل اللازم فى لغة الهوسا إلى متعد بحذف الحركة الأخيرة من الاسم الدال على الزمن ، وإضافة لاحقه التعدى /-ar/ أو /-ad/ فى تغاير غير مشروط متبوعة بـ /-da/ ، ويتبع هذا مع الكلمات العربية المقترضة فى لغة الهوسا :

مثال من لغة الهوسا :

yaa fita = خرج

yaa fitad da = yaa fitar da = أخرج

أمثلة من الكلمات العربية المقترضة فى لغة الهوسا :

faasidant	>	فائدة	faa?ida
أستفدت	=		naa faa?idanta
أفدتهم	=		nàa fa?idantad da , su
fahimta	>	فهم	fahima
فهمنا	=		mun fahimta
أفهمناهم	=		mun fahimtad da , s
hakiikanta	>	حقيقة	hakiika
تحققت	=		kaa hakiikanta
حققت كلامه .			kaa hakiikantad da , maganarsa
halarta	>	حضر	halara
حضرتى	=		kin halarta
أحضرتينى	=		kin halartad da , nii
karanta	>	قراءة	karaatu
قرأتم	=		kun karanta
علمتمونى	=		kun karantad da , nii
labarta	>	خبر	laabaarii
أخبر	=		yaa laabarta
أخبرنى	=		yaa laabartad da , nii
shaglta	>	فرح أو أنشغال	shagala
فرحت أو انشغلت	=		taa shagalta
فرحتهم أو شغلهم	=		taa shagaltad da su
ثبت أكد	=		tabbata
تأكدوا	=		sun tabbata
ثبتوا ، ملكهم	=		sun tabbatad da , mulkinsu

اطالة حركة الكسرة القصيرة

تحدث هذه الظاهرة فى موقع النهاية ، وموقع الوسط فى بعض الكلمات العربية المقترضه فى لغة الهوسا ، وهى ليست ظاهرة صرفية ، ولكنها ترجع إلى نظام بناء الكلمة فى لغة الهوسا ، كما سيتضح فيما بعد .

(أ) اطالة حركة الكسرة فى موقع النهاية :

لدراسة هذه الظاهرة الصوتية قمت بحصر الكلمات التى تنتهى بحركة الكسرة القصيرة والطويلة فى لغة الهوسا ، وقد كانت طبقا لما ورد فى معجم أبراهام على النحو التالى :

٢٣٨٠ كلمة تنتهى بحركة الكسرة الطويلة .

١١٣٢ كلمة تنتهى بحركة الكسرة القصيرة .

ومن ذلك يتضح أن متكلمى الهوسا يميلون إلى استعمال حركة الكسرة الطويلة فى نهاية الكلمة حيث كان عدد الكلمات التى جاءت فى نهايتها يزيد عن ضعف عدد الكلمات التى تنتهى بحركة الكسرة القصيرة .

وبحصر الكلمات العربية المقترضة فى لغة الهوسا ، والتى تنتهى بحركة الكسرة الطويلة لاحظت مايلى :

٢٠٠ كلمة عربية مقترضة تنتهى بحركة الكسرة الطويلة .

منها ١٤ كلمة تنتهى فى الأصل العربى بحركة الكسرة الطويلة وهى خمس كلمات تنتهى بالياء اللينه وهى :

alkaalii	<	القاضى

ساعى < saa?ii

تعدى < ta?adii

ضرورى < laaruuraa

مفتى < muftii

٩ كلمات تنتهى بياء النسب وهى :

أعجمى < ?ajamii

مصرى < bamasarii

بروجى < buruugii

هندى < hindii

عربى < arabii

روحانى < rauhaanii

صوفى < suufii

صحابى < sahaabii

سيدى < sayyadii

١٨٦ كلمة تنتهى بحركة الكسرة القصيرة فى اللغة العربية ، وعند اقتراضها فى لغة بمبوسا تنتهى بحركة الكسرة الطويلة وتوزيعها كما يلى :

١ — بعد صوت الفاء فى ثمان كلمات منها :

عيب < layfii

نصف < nusufii

سيف < sayfii

شرف < sharafi

تصرف < tasarrafi

وقف < waqafi

٢ — بعد صوت الميم سبع عشره مرة منها :

القلم < ?alkalmii

بسلام < bisalaamii

درهم < dirhamii

فهم < fahamii

حاكم < haakimii

خاتم < haatimii

٣ — بعد صوت الباء اثنتا عشرة مرة منها :

العجب < ?al?ajabji

عصب < ?asibii

غالب < gaalibii

عنب < ?inabii

لقب < lakabii

نائب < naa?bli

٤ — بعد صوت الدال أربع عشرة مرة منها :

عابد < ?aabidii

عدد < ?adadii

مدد < madadii

مجدد < mujaddadii

وعد < wa?adii

ورد < wardii

٥ — بعد صوت النون تسع عشرة مرة منها :

الدين < ?addiinii

الحين < ?alhiinii

إذن < ?izinii

٦— بعد صوت التاء أربع مرات وهى :

كنتين	<	kantii
مفتى	<	mufutii
سكوت	<	sukutii
تعنت	<	ta ?annutii

٧ — بعد صوت الطاء أربع مرات وهى :

غلط	<	gala.dii
غائط	<	gaaya.dii
صراط	<	siraa.dii
شرط	<	shara.dii

٨— بعد صوت السين سبع مرات منها :

عكس	<	?akasii
بحث	<	bahasii
حبس (وقف)	<	hubusii
سدس	<	sudusii
ثلث	<	sulusii

٩— بعد صوت الزاى أربع مرات وهى :

الذى		?allazi
لفظ	<	lafazii
مزى	<	muziii
وعظ	<	wa ?azii

١٠ — بعد صوت الشين ست مرات وهى :

لحن	<	hahanii
ميزان	<	miizaanii
ركن	<	rukunii
عدل	<	adaltshii
المقص	<	?aimakashii
النعش	<	?anna ?asii
عرش	<	?arshii
خمس	<	humusii
مفلس	<	mufallashii

١١—بعد صوت الجيم المعطشه مرة واحدة وهى :

هودج	<	hawdajii

١٢ — بعد صوت الكاف سبع مرات منها :

الحق	<	?alhakii
السلك	<	?asilikii
خالق	<	haalikii
ملك	<	mallakii
منافق	<	munafuukii
صداق	<	sadaakii

١٣ — بعد صوت الجيم القاهرية مرتين وهما :

بالغ	<	baaligii
بروجى	<	buruugii

١٤— بعد صوت القاف ثلاث مرات وهى :

حاذق	<	haaziqii
مرافق	<	mraaufiqii
زنديق	<	zandjiqii

١٥ ــ بعد صوت الراء خمس وأربعون مرة منها :

المبر	<	?addu burii
المبذر	<	?almubazzarii
الأمر	<	?al ?amarii
دفتر	<	daftarii
غادر	<	gaadirii
جوهر	<	jawharıi

١٦ــ بعد صوت االلام واحد وثلاثون مرة منها :

أهل	<	?ahalii
أجل	<	?ajalii
أصل	<	?asalii
بول	<	bawalii
حلال	<	halaalii
كامل	<	kaamilii
وابل من المطر	<	waabilii

١٧ ــ بعد صوت الياء مرتين وهما :

مزى	<	mazayii
وحى	<	wahayii

١٨ ــ بعد صوت الهاء مرتين وهما :

بيه	<	bihii
صالح	<	saalihii

١٩ ــ بعد صوت الهمزة ثمان مرات منها :

جامع	<	jaami?ii
مانع	<	maani ?ii
متاع	<	mataa ?ii
مربع	<	murabba ?ii
تطوع	<	tatawwa ?ii

٢٠ ــ بعد صوت /ts/ المركب مرتين وهما :

غائط	<	gaayitsii
رباط	<	ribaatsii

٢١ ــ بعد صوت /tsh/ المركب ست مرات منها :

القادرية	<	kadirantshii
حاكم	<	mahukuntshii
مشير أو ناصح	<	ma-shaawartshii
ساحر	<	masihirtshii
نصرانية	<	nasaarantshii

وهكذا نرى أن هذه الظاهرة تحدث بعد الأصوات المائعة liquid والشفوية أكثر مما تحدث بعد غيرهما من الأصوات ، حيث حدثت بالنسبة للإصوات المائعة والشفوية وعددها ٦ أصوات ١٣٢ مرة وبالنسبة لباقى الأصوات وعددها ١٥ صوتا ٦٨ مرة .

(ب) اطالة حركة الكسرة القصيرة قبل صوت الياء :

لدراسة هذه الظاهرة قمت بتتبعها فى معجم ابراهام حيث وجدت أنها تطول فى موقع الوسط بشرط مجىء صوت الياء بعدها ، وعند اقتراض كلمة عربية

يجرى إخضاعها لنظام بناء الكلمة فى لغة الهوسا على النحو التالى :

أمثلة من لغة الهوسا .

عشره	=	?akwiiya
قنفذ	=	buushiiya
ضحك	=	daariiya
ثروة	=	duukiiya
جارية	=	jakaadiiyaa

أمثلة من الكلمات العربية المقترضة فى لغة الهوسا :

١ ــ تطول الكسرة فى المقطع الأول فى الأنماط التالية :

فى التتابع CVVyV

رياء	<	riiya
دية	<	diiya

فى التتابع CVVyyV

الأمثلة :

نية	<	niiyya
دية	<	diiyya

فى التتابع CVVyVCV

الأمثلة :

سياسة	<	siiyasa
زيارة	<	ziiyara

٢ــ تطول فى المقطع الثانى فى الأنماط التالية :

فى التتابع CVCVyV

الأمثلة :

النية	<	?aniiya
حمية	<	hamiiya
حاشية	<	hiashiiya
جزية	<	jiiziiya
طاقيه	<	tagiiya

فى التتابع CVVCVVyvV

الأمثلة :

عارية	<	?aariiya
عافية	<	laafiiya
لوبيا	<	luubiiya

فى التتابع CVCVVyyVV

الأمثلة :

منى	<	maniiyyii
شقى	<	shaqiiyyii
ولى	<	waliiyyii

فى التتابع CVVCCVyyV

مثال :

شرقية	<	sharqiiyya
تربية	<	tarbiiyya

٣ــ تطول الكسرة فى المقطع الثالث فى الانماط التالية :

فى التتابع CVVCVCVyVV

الأمثلة :

كراهية	<	karaahiiya

فى التتابع CVCVCVVyyV

الأمثلة :						
قادرية	<	kaadiriiyya				
مالكية	<	maalikiiyya				
فى التتابع الأمثلة :	CVCVCVVyyV					
عربية	<	?arabiiyya	أزلية	<	?azaliiyya	
			بعدى	<	ba?adiiyya	
			جاهلية	<	jahiliiyya	
			تعرية	<	tazaziiyya	

أهم مصادر المادة العلمية :

Abraham :Dictionary of The Hausa Languag, University of London press, 1973

Ahmed., Umaru Balarabe : Bora da Mora, N.N.P.C, 1972

Balewa, Abubakar Tafawa : Shaihu Umar, N.N.P.C, 1973

Bamalli , Nuhu : Bala Da Babiya, N.N.P.C, 1973

Dembo, Umaru : Wasannin yara, N.N.P.C, 1972

Gogge , Adamu : Dauda Kano , Tabarmar Kunya , N.N.P.C. , 1973

Imam , Abubakar : 1- Magana jari ce I, II , III, N.N.P.C, 1973

2- Ruwan Bagaja N.N.P.C , 1973

Ingawa , Ahmedu : Iliya Dan Mai Rarfi, N.N.P.C, 1973

Ka'oje , bdullahi : Dare Daya, N.N.P.C, 1973

Makarfi , Shu'aibu : Jatau Na kyallu, N.N.P.C, 1970

Rimmer , Ahmedu Ingawa : Abu Musawa yakubu Auna : Zaman mutum da Sana'arsa N.N.P.C 1970

Tunau., Abubakar : Wasan Marafa, N.N.P.C, 1974

Wusara , Tafida : Jiki Magayi, N.N.P.C, 1973

Yahaya , Ibrahim Yaro : Daren sha Biyu, N.N.P.C, 1971

: Karmin Sani I , II, N.N.P.C, 1973

: Ka Kara Karatu, N.N.P.C, 1971

: Ka yi ta Karatu, N.N.P.C, 1973

فى نهاية هذا البحث أتقدم بالشكر إلى الأستاذ الدكتور محمود فهمى حجازى أستاذ علم اللغة بكلية الآداب جامعة القاهرة لمراجعته له منهجياً ولتوجيهاته المفيدة .

N.N.P.C = Northern Nigerian Publishung Comapany , Zaria, Nigeria.

مصطفى حجازى السيد

الجواهر وصفاتها

كتاب قديم فى تركيب جديد

لمؤلفه يحيى بن ماسويه

للدكتور على على السكرى

تعريف

أهمية كتاب « الجواهر وصفاتها » لمؤلفه يحيى بن ماسويه إلى أنه أقدم كتاب عربى فى علم المعادن وعلم الأحجار الكريمة منشور حتى الآن . ومن هنا فإن هذا الكتاب يجب أن يحظى بمزيد من اهتمام العلماء والباحثين فى هذا المجال : أولا لأنه يمثل إحدى البدايات الأولى والمبكرة لعلماء العرب للكتابة فى هذا الفن ، وثانيا لأنه قد يلقى الأضواء على مدى الارتباط بين الكتب اليونانية والرومانية القديمة والتى ألفت عن الأحجار وبين مثيلاتها من مؤلفات العرب التى جاءت بعد ذلك . وكتاب «الجواهر وصفاتها» الذى نتحدث عنه فى هذا المقال هو من مطبوعات مركز تحقيق التراث التابع لوزارة الثقافة بجمهورية مصر العربية، وقام بالتعليق على الكتاب وضبط ألفاظه وشرحها الدكتور عماد عبد السلام رؤوف ،وتم طبعه بمطبعة دار الكتب ،وأصدرته الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة سنة ١٩٧٧ .

* * *

يحيى بن ماسويه وتصانيفه

قبل أن نسترسل فى الكلام عن كتاب « الجواهر وصفاتها » ينبغى أن نقدم نبذة عن مؤلفه . هو أبو زكريا يحيى بن ماسويه الخوزى نسبة إلى خوزستان ،وهى بلاد الأهواز على الجهة الشرقية للخليج العربى أى مايسمى اليوم بدولة إيران . نشأ ببغداد ذكياً نابها «مثقفا» قد أخذ بأسباب العلوم وبخاصة الطب واللغات القديمة . خدم يحيى بن ماسويه بطبه المأمون (١٩٨ — ٢١٨هـ — ٨١٣/٨٣٣ م) وغيره من الخلفاء ورويت عن صلته بهم روايات تؤكد عظيم ماناله لدى كل منهم من مكانة فائقة واحترام كبير. كان نصرانيا سريانيا منتظما فى سلك الكهنوت برتبة شماس . كان لعلمه الواسع ودعاباته اللاذعة طلاب ورغاب أيضا ، فقال يوسف بن إبراهيم : « كان مجلس يوحنا بن ماسويه أعمر مجلس كنت أراه بمدينة السلام لمتطبب أو متكلم أو متفلسف ؛لأنه كان يجتمع فيه كل صنف

من أصناف أهل الأدب » ، جمع ابن ماسويه فى شخصه جوانب عدة مختلفة ، فهو تارة شماس كنيسة وتارة أخرى نديم الخلفاء والملوك وأنيسهم ، ومع ذلك فهو أديب له مجلس أدب وفكر حافل، وأستاذ طب ماهر فضلا عن كونه صاحب تآليف عديدة فى مختلف فروع الطب ،وفنونه وماكتابه فى الجواهر وصفاتها إلا نموذج آخر على تعدد اهتماماته العلمية وتنوعها . كانت وفاته فى يوم الأحد الثانى من جمادى الآخرة سنة ٢٤٣ هـ الموافق ٢٥ من سبتمبر سنة ٨٥٧ م .

قام ابن ماسويه بتصنيف مايزيد على الأربعين رسالة وكتابا معظمها فى الطب تدل عناوينها على أهمية الموضوعات التى تناولها . وقد حفظ الزمان نحوا من خمسة وثلاثين رسالة وكتاب من مؤلفات ابن ماسويه، موزعة مخطوطاتها فى خزائن الكتب فى العالم .

القيمة العلمية للكتاب

كما ذكرنا فى صدر هذا المقام فإن كتاب ابن ماسويه عن « الجواهر وصفاتها » يعتبر من أقدم الكتب التى ألفها العرب فى هذا الفن . ولايسبقه فى هـذا المضمار إلا : ١ــ كتب جابر بن حيان (المتوفى سنة ٢٠٠ هـ ــ ٨١٥ م) ومنها كتاب الأحجار وكتاب الأحجار الثانى وكتاب الجواهر الكبير ، ثم : ٢ــ كتاب عطارد بن محمد الحاسب (المتوفى سنة ٢٠٦ هـ ــ ٨٢١ م) المسمى منافع الأحجار . أما أسلوب ابن ماسويه فى كتابه فيعتمد على الإيجاز الشديد والتعبير الموجز، وعدم السرد . ويلاحظ أن مادة الكتاب تكاد تكون علمية لادخل للنصوص الأدبية فيها ، تلك النصوص التى شاعت فى كتب غيره من المؤلفين . كما أن الكتاب جاء خاليا مما ينسب إلى الأحجار الكريمة من المنافع الطبية التى طالما اهتم بها علماء ذلك العصر وأطباؤه .

ولم يعتمد مؤلف « الجواهر وصفاتها » على كتب الأقدمين فى النقل سواء كانت هذه الكتب يونانيه أو رومانية أو عربية . وهناك رأى يقول إن الكتب اليونانية والرومانية القديمة لم يكن قد تم ترجمها أيام يحيى بن ماسـويه غير أن الأرجح القول بأنه اطلع على هذه الكتب ــ وبالإخص أنه كان رئيساً لهيئة المترجمين الرسمية فى الدولة الإسلامية آنذاك ــ ولم يعجبه ماورد بها من آراء وملاحظات غير واقعية فآثر أن يتجنبها فى مـؤلفه وجاء كتابه مبنياً على خبرته ودراساته الشخصية فى الجواهر والأحجار الكريمة .

تحقيق الكتاب

فى تحقيق الكتاب بعض القضايا الفنية . منها أن المؤلف يحيى بن ماسـويه ذكر فى مقدمة كتابه أنه سيتناول بالشرح عدداً

من الجواهر جملتها ٢٧ حجرا هى : اللؤلؤ ، الياقوت ، الزمرد ، الماس ، الفيروزج ، البسذ ، اللازورد ، المكى ، الكركهن ، الكركند ، الياسميس ، الكرك ، المسنى ، العنبرى ، الغزوانى ، الخلنجى ، البلور ، القبورى . فى حين أن الكتاب المطبوع بين أيدينا لم يشتمل إلا على ٢١ حجرا كريما هم : اللؤلؤ ، الياقوت ، الألماس ، الخرين ، الكركند ، الأفلوج ، الزمرد ، الياسب ، المكى ، البسذ ، الدهنج ، اللازورد البجادى ، المادنيج ، العقيق ، البقرانى ، الجزع ، الجمست ، الفيروزج ، القبورى الكبريت ، وهنا تجدر الإشارة إلى أن البجادى والبقرانى والكبريت لم يثبتهم المؤلف فى مقدمته فى حين أوردتهم النسخة المطبوعة فى متنها ، فهل مادة هذه الأحجار الثلاثة مضافة إلى الكتاب الأصلى من مصدر آخر خارجى أم أنها سقطت عفوا من مقدمة المؤلف وبالأخص مع تكرار نسخ الكتاب ؟ فإذا اعتبرنا أن مادة البجادى والبقرانى والكبريت أضيفت إلى متن الكتاب من خارجه ، يكون عدد الجواهر التى تم وصفها ومعالجتها فى متن الكتاب ١٨ حجرا بالمقارنة مما ذكره المؤلف فى مقدمته وهو ٢٧ حجرا فأين وصف الأحجار التسعة المتبقية؟ وهذه الأحجار هى : السبس ، الكركهن ، الياسميس ، الكرك ، المسنى ، العنبرى ، الغزوانى ، الخلنجى ، البلور . صحيح أن المؤلف ذكر فى نهاية كتابه العبارة التالية : « وقد تركنا سائر ما أثبتناه (يقصد ما أثبته فى مقدمة كتابه من أسماء الجواهر) لأنها جميعا منسوبة إلى العقيق والجزع وهى كثيرة مختلفة » ، بما يفيد أنه ترك عمدا بعض أسماء الجواهر وهى التى تشبه العقيق والجزع دون وصف أو معالجة . فهل يدخل فى هذا البند حجر السبس (حجر أخضر من أشباه الزمرد) والعنبرى (حجر يشم منه رائحة العنبر) وبالأخص أن الأخير لا يمكن أن ينسب إلى العقيق والجزع لأنهما لا رائحه لهما ؟ تفيد هذه المناقشة أن الكتاب المطبوع بصورته الحالية يختلف بالنقص والزيادة عن المؤلف الأصلى الذى كتبه يحيى بن ماسويه ، الأمر الذى يستدعى مزيدا من التحقيق لهذا الكتاب القيم .

وهناك قضية أخرى فى تحقيق رسالة ابن ماسويه عن الجواهر وهى منهج التحقيق ذاته ، فقد ذكر المحقق الدكتور عماد عبد السلام رؤوف أنه أعتمد فى عمله على نسخة دار الكتب المصرية وعدها أصلا فى التحقيق ولم يرجع إلى نسخة مكتبة جامعة القاهرة إلا عند نقل بعض تعليقات مالكها الأول الدكتور مايرهوف . واضح من هذ الكلام أنه لم تحدث مقابلة بين النسختين معا الأمر الذى يؤكد قصور منهج التحقيق.

نماذج من الكتاب

والآن حان الوقت لكى نستعرض بعضا من النماذج الرائعة مما احتواه كتاب الجواهر وصفاتها ليحيى بن ماسويه وهى تدل على الأسلوب العلمى الذى اتبعه علماء العرب فى ذلك الوقت المبكر من الزمن فى وصف المعادن والأحجار الكريمة .

صفة الياقوت ومعدنه :

وقد يكون فى الحجر ريح ورتم (يعنى كسر)، والريح نفخ فى الحجر ، وهو موضع خالى يكون فيه ريح . وربما كان أيضا فيه الماء والريح والرتم ، وهو موضع عيب يكون فى الحجر ، وربما كان فيه الطين الطيب والمتن . وترى الريح والرتم الذى داخل الحجر من خارجه ، فيوضع عليه المثقب حتى يذهب ذلك العيب ، وكذلك موضع الريح حتى يوصل إليه فيفتح عنها فيخرج . وإن كان أيضا ماء أخرج . ثم يعمل على النار وفيه شىء باق من مواضع الريح . والعيوب تبقى وتفتح لأنها تتصدع إن بقى فيها شىء .

يظهر هذا النص أسلوب العرب العلمى فى دراسة المعادن والأحجار الكريمة ، هذا الأسلوب الذى يعتمد على المشاهدة الواعية والوصف الدقيق والتجربة الحية . فالنص يتكلم عما يسمى فى لغة علم المعادن بمصطلح المحصورات وهى شوائب صغيرة الحجم تكون محصورة داخل كيان المعدن الأصلى وهذه الشوائب إما صلبة من بلورات دقيقة من معادن أخرى أو سائلة أو غازية . وقد شرح ابن ماسويه فى براعة واقتدار ظاهرين نوعين من المحصورات وهما المحصورات الغازية والمحصورات السائلة وذلك فى قوله « والريح نفخ فى الحجر ، وهو موضع خالى يكون فيه ريح .وربما كان أيضا فيه الماء والريح . . « ويشير ابن ماسويه إلى شفافية الياقوت حينما يقول :« رترى الريح والرتم الذى داخل الحجر من خارجه » وهذه الشفافية من الصفات المرغوبة فى الأحجار الكريمة .

صفة الألماس ومعدنه :

والألماس قد يكون فيه مايلقى شعاعه على هيئة قوس قزح على الحيطان (الذى قلب عليها قدح الزجاج)، فما كان كذلك اتخذه أهل الهند حلياً لهم ، ومالم يلق الشعاع استعملوه فى الياقوت . وهو الذى يثقب القوارير وجميع الحجارة وينقش به أيضا القوارير والفصوص . . . وقد يقع الجيد من الذى له شعاع قليل إلى العراق فيبلغ خمسين دينارا ، والذى للعمل يبلغ المثقال منه ثلاثين دينارا على قدر عزته وكثرته . وإنما يوضع للثقب على أطراف حديد على قدر المثاقب فى الغلظ والدقة .

يكشف النص عن إلمام مبكر من جانب علماء العرب بموضوع صلادة المعادن .

وصلادة المعدن هى مقاومته للخدش فقال إن معدنا مّا أصلد من الآخر حينما يخدشه. واختبار الصلادة من الاختبارات الهامة التى كان ومازال يجريها خبراء المعادن والأحجار الكريمة للتأكد من نوعيتها .

وقد وضع العالم «موهز» مقياساً للصلادة ضم فيه عشرة معادن قياسيه،واعتبر أن الألماس هو أشدها صلادة يليه الياقوت . والألماس أشد صلادة من الياقوت بحوالى عشرة مرات،وذلك يجعله يخدش كل شىء ولاشىء يخدشه . وحينما يقول يحيى بن ماسويه عن الألماس أنه الذى يثقب القوارير وجميع الحجارة،وينقش به أيضاً القوارير والفصوص فإنه يكون قد وصفه بلغة العالم المجرب . هذا ويشير النص إلى وجود آلات مختلفة الأحجام من المثاقب الماسية كان يستعملها خبراء الجواهر فى ذلك الزمان البعيد،وذلك فى قوله « وإنما يوضع (أى الألماس) للثقب على أطراف حديد على قدر المثاقب فى الغلظ والدقة » .

صفة الزمرد ومعدنه :

[جميعه أخضر مختلف الخضرة . يكون فى بلاد السودان مما يلى مصر فى جبل مشعب فى معدن يحفر عنه ، فربما أصابوا العروق فقطعوها ، وهو أجود ما يكون منه ،والباقى يصاب فى التراب بالنخل فيوجد حلالا فيغسل كما يغسل تراب الفضة فيوجد فيه . وعلى كل رجل منهم يدخل ذلك الجبل خمسة دنانير لعشرين ليلة ، فمنه الشديد الخضرة القليل الماء ، وبعضه فيه كدورة وهو القليل الخضرة الكثير الماء ، والأصم ظاهر ، والعربى ظاهر ، ويعالج أولا بالسنباذج على الأسرب ثم يجلى على خشب العشر بالحلى العقيق والماس . ويكون فى الجيد منه خمسة مثاقيل ، ويباع الحجر منه بخمسة دنانير إلى دينار .]

فى هذه الفقرة من «كتاب الجواهر وصفاتها»تحدث يحيى بن ماسويه عن الزمرد كحجر كريم . وقد ناقش فيها أماكن تواجد هذا الحجر وصور تواجده وعدد أصنافه المختلفة ثم شرح كيفية جليه ليصبح حجرا كريما لامعا مصقولا يصلح لأغراض الزينة . وهناك استدراك على كلام ابن ماسويه عن تواجد الزمرد بالسودان،فقد أجمع عدد كبير من المؤلفين القدامى من أمثال المسعودى وابن حوقل وابن الأكفانى على تواجد الزمرد بأرض مصر بالصعيد الأعلى فى الصحارى الواقعة بين نهر النيل والبحر الأحمر . والنص فى عمومه يظهر أنه كانت هناك دراسات موضوعية لمادة الأحجار الكريمة من جانب علماء العرب: هـــذا بينما يرى « بلينى » الكاتب الرومانى الطبيعى (المتوفى نحو سنة ١٠٠ م) أن الزمرد ابتدأ ليكون ياقوتا أحمر ، إلا أن آفات معينة قصرت به عن ذلك فاسود وازرق ثم اخضر .

صفة البسذ ومعدنه :

[ويقال له المرجان . أحمر اللون، لاماء له . ويخرج من بحر فرنجة (الجزء المحاذى لفرنسا من البحر الأبيض المتوسط) وهو الأحمر الجيد ، ويسمى البسذ فى بلاده العوم ، ومنه شىء إلى البياض ماهو ، وهو الذى يسمى بالعراق البيراق ويكون فى بحر الروم ، ومن هذا الجنس جنس يسمى بالفاسنجانى وهو أجوده ، وهو يشبه لون الورد ، ويؤتى بالفاسنجانى من بحر العرب . ومنه جنس يقال له الدليكى يؤتى به من عدن ، وهو شبيه بالجيد من جوهره . . . وإن ألقى فى الخل ابيض ، وإن ألقى فى الدهن رجع إليه لونه .]

البسذ (بالذال) أو البسد (بالدال) هو المرجان . وفى الأصل المرجان حيوان بحرى يقوم بعمل إفرازات كلسية حجرية تشكل هيكله الخارجى المتشعب، وهذا الهيكل الحجرى ممكن أن يكون أحمر اللون أو أبيض اللون .

وفى الفقرة المقتبسة قام ابن ماسويه بوصف حجر المرجان، وأشار إلى مواضع أربعة يمكن الحصول عليه منها، كما ذكر أنواعه المختلفة . ونرى أثر التجربة واضحا فى دراسات العرب مثل قولهم « وإن ألقى فى الخل ابيض ، وإن ألقى فى الدهن رجع إليه لونه » .

خاتمة

فى هذا المقال قمنا باستعراض عام لكتاب يحيى بن ماسويه عن الجواهر «وصفاتها» وهو من أقدم الوثائق العربية فى دراسة المعادن والأحجار الكريمة . وتناول الاستعراض حياة يحيى بن ماسويه وتصانيفه، القيمة العلمية لمؤلفه، قضايا تحقيق الكتاب ، ثم أوردنا بعض النماذج الحية من هذا الكتاب مع تعقيب موجز عليها لبيان قيمتها العلمية التاريخية . وهكذا يتبين أن كتاب يحيى بن ماسويه يعتبر درة غالية فى بابه ويستحق منا المزيد من الاهتمام .

على على السكرى

فى الإعراب ومشكلاته

للدكتور إبراهيم مصطفى

(٢)*

أدلى المستشرقون بدلوهم فى تفسير حركات الإعراب واختلفوا مذاهب قددا فى ذلك ، وأقرب هذه الآراء إلى الصواب وأولاها بالدرس ماكتبه «وليم رايت» و «كارل بروكلمان» حيث رجحا أن اللغة السامية الأم كانت تفرق بين حالة الرفع باللاحقة (u) وحالة الجر باللاحقة (i) وحالة النصب باللاحقة (a) على أن الأصل لكل لاحقة غير معروف على وجه الدقة ، ويمكن أن يرجح أن أصل الفتحة (ha) ، وهى ضمير إشارة مستعمل فى اللغات السامية ، ولم يزل فى الحبشية يلحق بالأعلام فى حالة النصب كما يمكن أن تكون حالة الرفع مشتقة من الضمير (ho) أما علامة الجر فظاهر مشابهتها بياء النسب التى حذفت وبقيت الكسرة قبلها وقد نقد أستاذنا «إبراهيم مصطفى» ماذهب إليه المستشرقون ورأى أنهم تأثروا بنظام لغاتهم ، وسبيل الإعراب والتصريف فيها ويرى أن العربية لها منهج فى الإعراب مخالف لمناهج اللغـــات الغربيـــة إذ العربية تدل بالحركات على المعانى المختلفة من غير أن تكون تلك الحركات أثراً منقطع أو بقية من أداة[1] .

وكما اختلف المستشرقون حول تفسير حركات الإعراب نرى اختلافا آخر بين علماء العربية وإليك آراءهم :

أولا : بينا فى مقال سابق[2] أن الخليل كان أول من ذهب إلى أن الحركات الإعرابية دوال على المعانى ثم تبعه فى هذا علماء العربية القدامى[3] . ويذهب قطرب ٢٠٦ هـ من القدامى على أنه لا صلة بين حركات الإعراب والمعنى ، حيث يقول: إنما أعربت العرب كلامها لأن الاسم فى حال الوقف يلزمه السكون للوقف ، فلو جعلوا وصله بالسكون أيضاً لكان يلزمه الإسكان فى الوصل والوقف

(*) نشر المقال الأول فى مجلة المجمع ، الجزء الثانى والأربعون .

(١) إحياء النحو ٤٣ فما بعدها .

(٢) انظر مقالنا : فى الإعراب ومشكلاته قدم لمجمع اللغة العربية بالقاهرة .

(٣) سيبويه ٢ / ٣١٥ بولاق ، والإيضاح للزجاجى ٦٩ . وشرح الكافية ١ / ٢٠

وكانوا يبطئون عند الإدراج فلما وصلوا وأمكنهم التحريك ، جعلوا التحريك معاقبا للإسكان ليعتدل الكلام[1] .

هذا وقد احتج المخالفون له ردا عليه : لو كان كما زعم (قطرب) لجاز خفض الفاعل مرة ، ورفعه أخرى ونصبه وجاز نصب المضاف إليه ، لأن القصد فى هذا إنما هو الحركة تعاقب سكونا يعتدل به الكلام، وأى حركة أتى بها المتكلم أجزأته فهو مخير فى ذلك ، وفى هذا فساد للكلام وخروج عن أوضاع العرب وحكمة نظام كلامهم :

هذا ، وقد علل (قطرب) اختلاف الحركات عندما اعترض عليه النحاة بقولهم . فهلا لزموا حركة واحدة ، لأنها مجزئة لهم إذ كان الغرض إنما هو حركة تعتقب سكونا ؟ فقال : لو فعلوا ذلك لضيقوا على أنفسهم فأرادوا الاتساع فى الحركات وألا يحظروا على المتكلم الكلام إلا بحركة واحدة[2].

وممن ذهب من المحدثين مع قطرب أستاذنا الدكتور إبراهيم أنيس فى كتابه « من أسرار اللغة » فالحركة الإعرابية لا مدلول لها عنده[3] ، وإنما يؤتى بها توصل الكلمات بعضها ببعض وتخلصاً من التقاء الساكنين[4] : والذى يعين الحركة عنده أحد عاملين .

أولهما : طبيعة الصوت وإيثاره لحركة معينة كإيثار حروف الحلق للفتحة .

وثانيهما : انسجام تلك الحركة مع ما يجاورها من حركات[5] وهو ما يسمى "Vowel Harmony"

وأن الذى يحدد معانى الفاعلية والمفعولية عنده يرجع إلى عاملين :

أولهما : نظام الجملة العربية والموضع الخاص لكل من هذه المعانى اللغوية فى الجملة .

وثانيهما : ما يحيط بالكلام من ظروف وملابسات .

وقد تكفل بالرد عليه كثير من تلاميذه مستدلين بالشواهد الكثيرة التى تشير إلى الحركات الإعرابية وأثرها فى المعانى من الفاعلية والمفعولية وغيرهما[6] ، كما حشد بعضهم شواهد وأدلة من الساميات تؤكد أن الإعراب كان فيها كما كان فى العربية الفصحى[7].

وهناك سؤال مؤداه :

أكان قطرب أول من نادى بهذا الرأى أم سبقه سابق من النحويين ؟

---

(١) الإيضاح ٧٠ .

(٢) الإيضاح ٧١ .

(٣) من أسرار اللغة ١٥٨ ط لجنة البيان العربى نشرة : الأنجلو المصرية .

(٤) من أسرار اللغة ١٧٠ .

(٥) من أسرار اللغة ١٧٥ — ١٧٦ — ١٨١ .

(٦) مدرسة البصرة النحوية ٣١٢ فما بعدها . دكتور عبد الرحمن السيد ط أولى ، مدرسة الكوفة ٢٤٩ فما بعدها د . مهدى المخزومى ، دراسات فى فقه اللغة ١٢٨ فما بعدها د . صبحى الصالح ، دمشق ١٩٦٠ .

(٧) انظر قضية الإعراب . للدكتور رمضان عبد التواب فى مجلة المجلة . السنة العاشرة . العدد ١١٤ .

يرى بعض الباحثين[1] أن الخليل بن أحمد سبق قطرباً بهذا الرأى مستدلا بقول سيبويه : زعم الخليل أن الفتحة والكسرة والضمة زوائد ، وهن يلحقن الحرف ليوصل التكلم به[2] ، فالحركات عند الخليل إنما هى زوائد جئ بها ليتوصل بها إلى النطق بالحروف وليس العامل مؤثراً فيها ، ولا علاقة لها بالمعنى وإيضاحه كما يفهم من النص .

والذى نميل إليه أن سيبويه عندما نسب ذلك إلى الخليل بصورة الزعم لم يكن يتحدث عن الإعراب والبناء ، كما أن هذا الرأى لا يتفق مع أراء الخليل وفكره ، لأنه يربط دائماً بين الحركة الإعرابيـــة ومعنى معين[3] ، بل كان يقلب الجمل على وجوهها التى يحتمل أن يكون العرب قصدوا إليها ، ليقف على المعانى المختلفة التى تدل عليها هذه الوجوه ، فمن ذلك ماروى عنه من قولهم : مررت به المسكين . والمسكين يرفع وينصب ويجر ، يرفع على إضمار هو : كأنه لما قال : مررت به . قال : هو المسكين ، كما يقول مبتدئاً : المسكين هو . وينصب على إضمار فعل فيه معنى الترحم ، ويجر على اعتباره بدلا من الضمير المجرور[4] :

فهذه الوجوه من الحركات الإعرابية المتعددة إنما حدثت فى رأى الخليل ، لأن المعانى متعددة كذلك . والحركات فى النص السابق لها أثرها فى المعانى التى تضمنتها الجملة ، وأخيراً فإن الزجاجى عندما تناول دلالة العلامات الإعرابية على معانيها يقول : هذا قول جميع النحويين إلا قطرباً. فهو لم يستثن غير قطرب . ولو كان الخليل يقول بمقولة قطرب لذكره الزجاجى مقترنا بقطرب[5] .

ثانيا : أضاف ابن الطراوة (ت ٥٢٨هـ) عاملا جديداً ، لم يعهده النحاة فى عوامل النصب ، سماه : القصد إليه . ومصدر هذا الرأى عنده أن بعض المعمولات من الأسماء والأحداث قد يقصد إلى ذكرها خاصة من غير حاجة إلى الإخبار عنها . أو تسليط عامل لفظى عليها ، ومثل لهذا بقوله «سبحان الله!» فان (سبحان) اسم ينبئ عن العظمة . فوقع القصد إلى ذكره مجرداً عن التقييدات بالزمان أو بالأحوال ، ولهذا وجب نصبه كما يجب نصب كل مقصود إليه بالذكر نحو ويل زيد ، وزيداً ضربته فى الاشتغال ، والمفعول المقدم : زيداً ضربت ، والمنادى : ياعبد الله. فلا علاقة للعامل بهذا المنصوب ، والاسم هنا (قصد) ذكره فحسب ، وليس شرطا أن يكون مبنياً عليه فيكون مبتدأ : أو واقعاً عليه فيكون مفعولا به ، وما يراه ابن الطراوة وثيق الصلة بالجانب البلاغى وهو : الاهتمام أو التخصيص وهما عين

---

(١) مدرسة البصرة النحوية ٣٠٦ .
(٢) الكتاب : ١ / ٣١٥ بولاق .
(٣) الكتاب ١ / ١٨٧ فما بعدها ، ٤١٣ .
(٤) الكتاب ١ / ٢٥٤ ..
(٥) أنظر قرينة العلاقة الإعرابية ٢٥٤ دكتور محمد حماسة (مخطوط بمكتبه دار العلوم) .

(القصد إليه) عند ابن الطراوة . (انظر فى هذا : أبو الحسين بن الطراوة وأثره فى النحو (٧٤ – ٧٦) د . محمد البنا . ط دار الاعتصام بالقاهرة) .

ثالثاً : وهى فكرة أستاذنا إبراهيم[1] مصطفى ، وتقوم أساساً على أن[2] حركات الإعراب ليست أثراً لعامل من العوامل بل هى دوال على معان فى تأليف الجمل و ربط الكلام ، فالضمة علم الإسناد و دليل على أن الكلمة المرفوعة يراد أن يسند إليها ويتحدث عنها . وأما الكسرة فإنها علم الإضافة وإشارة إلى ارتباط الكلمة بما قبلها سواء أكان هذا الارتباط بأداة أو بغير أداة كما فى : كتاب محمد ، وكتاب لمحمد . و لا تخرج الضمة ولا الكسرة عن الدلالة على ما أشرنا إليه إلا أن يكون ذلك فى بناء أو فى نوع من الاتباع .

أما الفتحة فليست علامة إعراب ولا دالة على شىء بل هى الحركة الخفيفة المستحبة عند العرب التى يراد أن تنتهى بها الكلمة كلما أمكن ذلك .

فللإعراب الضمة والكسرة فقط و ليستا بقية من مقطع ولا أثراً لعامل من اللفظ بل هما من عمل المتكلم ليدل بهما على معنى فى تأليف الجملة ونظم الكلام .

ورابعاً : أن الهمزة لما كانت تتعدد وظائفها فى الكلام أضافوها إلى الأفعال فى أولها أو فى آخرها حتى لقد أضيفت إلى الفعل الواحد فى بعض الحالات فى أوله وفى آخره معا مثل : اذهبا (= إى + ذهب + آ) و : افعلى (= أى + فعل + أى) . فاذا جئنا إلى الحالات الإعرابية مثل قولنا : جاء الرجل . ورأيت الرجل . ونظرت إلى الرجل ، ففى المثال الأول (= الرجل + أو) وفى الثانى (= الرجل = آ) وفى الثالث (= الرجل + أى) ويمكن تحليل الأفعال الآتية :

افعلوا = اى + فعل + أو .

افعلا = اى + فعل + آ .

أفعلى = اى + فعل + إى .

فالضمة التى لحقت بالاسم : مبتدأ أو أو خبراً أو فاعلاً هى نفسها الضمة التى لحقت بالفعل . فحركات الإعراب الثلاث فى الاسم والفعل واحدة فالضمير الذى التصق بالاسم هو نفسه الذى التصق بالفعل .

ويرى الباحث أن الضمير مع الفعل ظهر على صورة ضمة أو كسرة أو فتحة فى مثل : أذهب أو . أذهب إى . اذهب آ ، ليعرف السامع من هو المقصود بفعل الذهاب ، ثم انتقل هذا الضمير مع الفعل إلى الاسم فكان مبتدأ مؤخراً فى قولك : صغير أو مريض أو . . . على معنى صغير هو مريض هو .

---

(١) كان يسميه العقاد (سيبويه العصر » أما الدكتور طه حسين فكان يسميه « الفراء : مقدمة احياء النصوص (ل) .
(٢) احياء النحو : ٥٠ .

ثم يرى الباحث أن ظاهرة تحريك أواخر الألفاظ قد نشأت لدى الفريق الذى كان الضمير عنده هو الهمزة، وهذه الهمزة نفسها نراها فى العربية ولهجاتها قد تحولت أو أبدلت أو خففت أو ذابت ولم يبق إلا حركتها تلك الحركة التى تدل عليها ؛ ولهذا اختلف فى نطق الهمزة فهى عند قبيل : آ ، وعند بعض آخر : أى . وعند آخرين (أو — o)وعند فريق (أو — ü) ويظهر والله أعلم — أن الحركات التى نشأت عن صوت الهمزة كما سبق قد التقت واختلطت وتفاعلت — فكان العربى ينطق بهذه الحركات كلها فى وقت واحد بدون تمييز بينها ، وبعد فترة زمنية خضعت لقاعدة (التخصص) فأخذت تلك الحركات المختلفة تبحث لها عن عمل تختص به ، حتى استقرت كل واحدة منها فأصبحت تدل على مجموعة من حالات الإعراب ، وليس معنى ذلك أن الحركات الإعرابية قد تخصصت فى وقت واحد ، ومن المحتمل أن بعضها تخصص قبل بعض ، ومما يؤكد ذلك وجود حركة الضمة فى أواخر الألفاظ البابلية من الأفعال والأسماء على السواء فقد كانوا يقولون (من الأفعال) (ومن الأسماء) :

(من الأفعال)		(من الأسماء)	
سخنو	: سخن	حرتو	: حرية
صرمو	: صرم (قطع)	ايدو	: يـــد
قلفو	: قلف (قشر)	ملاحو	: ملاح

على حين نجد الفتحة فى السريانية الشرقية — العراقية بوجه عام — هكذا :

ايـــدا : يـــد .

حـــروتا : حرية .

ملاحو : مـــلاح .

وأما فى السريانية الغربية — الشامية بوجه عام — فكانت تنطق حركة آخر الاسم بين الفتحة والضمة هكذا :

ايـــدو (ido) .

حروتو (hjrouto) .

وفى الغربية نجد الضمة أقوى الحركات فالذين يتكلمونها كانوا أكثر عددا وأعز جانبا من الجماعات الأخرى ، ولذا اختصت بالمسند إليه حتى المفعول به مازال يرفع إذا تألفت الجملة منه ومن الفعل (فى حالة المبنى للمجهول) . أما إذا اجتمع الفاعل مع اسم آخر فى الجملة الفعلية ، فإن الفتحة هى التى تتولى الاسم الطارئ ، من المفعولات والحال وغيرها . أما حالة الجر فهى التى تنحصر فى الإضافة وبضعة حروف .

وخلاصة رأى الباحث فى حركات الإعراب أنها ليست إلا رواسب تطورية من الهمزة فى مختلف حالاتها النطقية : آ . أو ، إى . ثم تغيرت وظيفتها . وما أكثر الرواسب فى حياة البشر الاجتماعية واللغة لاتشذ عن هذا الباب . فهى كائن حى من جهة ، واجتماعى من جهة أخرى . ومن الرواسب اللغوية زوائد متخلفة من عهد تطورى كانت لها فيه وظيفتها ، ثم تقلبت الأحوال ففقدت وظيفتها أو اعتاضت

عنها بغيرها ، وضرب الباحث عدة أمثلة من عالم الحياة فى المجتمعات والطبيعة وعالم الجغرافيا[1] :

والذى أراه أن الباحث يبدى تفسيرات جزئية لاقدرة لها على إبراز رأى عام ، أو فكرة مكتملة ، كما أنه لم يستطع البرهنة من التراث القديم لتأييد فكرته ، والحق أن بعض القدماء من علماء العربية أشار إلى ما يمكن أن يكون علاقة لما بين الهمزة ــ حين أغلقت المقطع المفتوح آخر الكلمة ــ والإعراب ، ففى كتاب سيبويه : وزعم الخليل أن بعضهم يقول : رأيت رجلأفهمز[2]. وفى الخصائص أن ابن جنى عزا لبعض العرب همز الألف فى الوقف مثل : هذه حبلأ ، وهذا سبيلهم وعادتهم حيث يقولون : رأيت رجلأ ، وهو يضربهأ[3] والهمزة فى : رجلأ إنما هى بدل من الألف ، التى هى عوض من التنوين فى الوقف ، كما أنها أقفلت المقطع المفتوح ، وربما كان سر هذا أن الألف تهوى فى الفم فآخرها عند أول الهمزة ، فلما كانت تنقطع عند الهمزة جيء بالهمزة مكانها .

وأرى أن الهمزة تحتاج إلى دراسة واعية لبيان تأثيرها فى القضايا اللغوية بنظرة أشمل وأوسع . وإذا كانت الهمزة هى الأصل كما يرى الباحث فى قضية الإعراب ، فإنها كذلك أصل للضمائر ، بدليل أن الضمير (نحن) كان ينطق فى الماضى السحيق بهمزة فى أوله ، وهو كذلك فى العبرية والأرامية القديمة والأشورية ، وضمير الغائب (هو) كان أصل هائه همزة ، واللغات السامية كثيرا ما تحول الهمزة إلى هاء . فأل ــ التعريف فى العبرية هى (هل) ثم لحق اللام إدغام فبقيت الهاء وحدها ، وهل ــ لغة فى ــ أل عند بعض القبائل العربية[4] ، كما أن صيغة أفعل العربية تقابل صيغة : هفعل فى اللحيانية القديمة[5] .

كما أن الباحث فى النهاية تورط حين عقد صلة بين الساميات واللاتينية فى بعض علامات الإعراب .

وخامساً : تقوم هذه الفكرة على أن العرب جعلوا عناصر الجملة مشابهة لعناصر بيت الشّعر . فخصوا الضمة بالعمدة ليكون مرفوعا (كالعماد) فى الخيمة ، والكسرة بالوسيط

---

(١) انظر مقال الأستاذ عبد الحق فاضل بعنوان (أسرار الضمائر) بمجلة اللسان العربى عدد : ٥ فى أماكن متفرقة .

(٢) الكتاب ٢ / ٢٨٥ بولاق .

(٣) الخصائص ٢ / ١٧ سر الصناعة ١ / ٨٤ .

(٤) ومن تبادلهما : إبرية : هبرية ، اياك : هياك ، هيا : من حروف النداء : أيا ، أرحت : هرحت . أما والله : هما والله . درأ علينا : دره علينا . بمعنى طلع . إبدال أبى الطيب ٢/٥٦٨ فما بعدها . دمشق . وكتاب الإبدال لابن السكيت ٨٨ ، ٨٩ تحقيق د . حسين شرف . القاهرة .

(٥) لغات النقوش ، مؤتمر مجمع اللغة العربية . الجلسة ٦ مارس ١٩٦٢ .

ليكون مجرورا (كالطنب المشدود) والفتحة بالفضلة ، إشعارا بضآلة الدور الذى تؤديه فى قيام الجملة الصحيحة . شأنها فى ذلك شأن (الوتد الصغير) .

ولعل صاحب هذه الفكرة ينظّر لنشأة حركات الإعراب بما كان من أمر الخليل ابن أحمد عندما وضع علم العروض حين استمد مصطلحاته (الأوتاد والأسباب والفواصل) من عناصر خيمته الشعرية . (والحركة) النشطة هى عماد الحياة البدوية والرعوية ، وفى نظر الباحث أن الجملة العربية وضعت على مثال (الخيمة) العربية . فإذا كانت الخيمة تحتاج إلى مادة أساسية هى (النسيج والجلد) فإن الجملة كذلك تحتاج إلى مادة أساسية هى (الفعل أو ما فى معناه) وكما احتاجت الخيمة بعد قيامها إلى عناصر ثانوية لتثبيتها هى (الطنب والأوتاد والأسباب) فالجملة كذلك تحتاج إلى مايشبه هذه العناصر الثانوية فى شكل حروف وأسماء مجرورة ومنصوبة .

ويحاول الباحث[1] أن يكشف عن سر حركات الإعراب بربطها بالفعالية . فالعماد للفعالية الشديدة التى تقابلها حالة الرفع فى الأسماء ، والوسيط للاسم المجرور ، والفضلة لكل ماعدا ذلك . أما فى الأفعال فالفعالية الشديدة تقابلها حالة الرفع والفعالية الخفيفة تقابلها حالة النصب . وانعدام الفعالية تقابلها حالة الجزم .

وفكرة الباحث عن حركات الإعراب تتأثر فى جانب منها بالأستاذ إبراهيم مصطفى ، وفى بعضها الآخر بالقدماء ، وجانب منهـا يحيطه الغموض والوهن . كما أنها مغرقة فى التشبيه حين ربط العلامة الإعرابية بغيرها من ظواهر الحياة المتبدية .

وسادساً : كما أن بعض الدارسين يرى ربطا بين الحركات فى العربية وبين الإنسان فى عالمه فهو إما مؤثر وإما متأثر ؛ أو إما أن يقوم بالحركة بنفسه وإما أن تحصل له من غيره ممن يعيش معه ، أو من عناصر الطبيعة من : رعد ومطر ونار . . والعرب لما رأى فى عالمه أبعاداً ثلاثة بنى لغته على ثلاث حركات أيضاً :

١ ــ حركة الفتح ، أى التأثير على العالم الخارجى . وهو عمل صادر عن الإرادة مثل : ضرب وقتل وخرج وقطع . وأكل . وفتح ، ودخل ، وكلها أفعال مفتوحة العين ؛ لأن الفتحة تدل على العمل الصادر عن الفاعل بإرادة منه حقيقة أو مجازا .

٢ ــ ثم حركة الكسر أى التأثر الذى يحصل للفاعل من طرف العالم الخارجى . فالكسر والحسر والقصر والخزل كلها بمعنى حصول الشىء للفاعل المغلوب المقهور . فالفعل المكسور العين يدل على كل مايحصل

---

(١) انظر : المفتاح لتعريب النحو : ١٦٩ فما بعدها . محمد الكسار . دمشق .

للفاعل بدون إرادة منه حقيقة أو مجازا مثل : مرض وحزن وعطش وعلم وفرح . وسقم وغرق وجزع » .

٣ ــ ثم حركة الضم (والطم والتم) وكلها تدل على التجمع والكثرة والدوام والثبات ، مثل : حسن وكبر وصغر وقرب وشرف . وكلها بمعنى حصول الشيء للفاعل لاحصولا طارئا أو مؤقتا .

ثم ينتقد الباحث فكرة الثقل والخفة فى الحركات عند القدماء ، ويرى أنها فكرة ناقصة لأنها مبنية على ظاهر اللفظ لاعلى باطنه المحرك الذى هو النشاط العصبى الدماغى بالنسبة إلى تحكم الإنسان فى كلامه[1] .

وعلماء العربية يرون أن الضم أثقل وأقوى من الكسر والفتح[2] ، ولهذا كان الضم قوة لأنه علامة الإسناد الذى يحقق الارتباط بين المسند والمسندإليه ، وأن الفتحة أعذب أخواتها وألينها وأخفاها ، أما الياء فضعيفة بالاستفال والرخاوة . ويقول ابن الجزرى[3] «وأسفل المستفلة الياء» وقد ساق ابن جنى فى المحتسب[4] نصا دقيقا بيّن فيه كيف تؤثر الصيغة حركة على أخرى كما ازدادت الحركة شبها بالمعنى . وهو فى هذا لايقل لمحاً عن المحدثين من علماء اللغة فى الحركات وصلتها بالمعانى ومساوقتها لها . يقول ابن جنى : غلا فى (قوله) : غلوا ، وغلا (السعر) : يغلو غلاء ، فصلوا بينهما فى المصدر ، وإن اتفقا فى الماضى . . . فلما اتفق اللفظان والمثلان فى الماضى والمضارع خالفوا بين مصدريهما ليكون ذلك الخلاف بين مثاليهما أنفسهما فقالوا غلوا وغلاء[5] . نعم ، وخصوا (غلا) فى (القول) بالغلو لأن لفظ (فعول) أقوى من لفظ (فعال) للواوين والضمتين ، وضعف الألف والفتحتين . وذلك لأن الغلو فى (القول) أعلى وأغنى عندهم من (غلاء) السعر ، ألا ترى إلى قول الله تعالى «تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولدا» وقال تعالى «ياأهل الكتاب لاتغلوا فى دينكم» وأما غلاء السعر فلا يدخل النار ولايحرم الجنة .

ثم إنهم قالوا : غلت القدر تغلى غلياناً — فلما صغر هذا المعنى فى أنفسهم أخذوه من الياء ، لأنها تنحط عن الواو والضمة إلى الياء والكسرة . (أى فى المضارع : تغلى) . فإن قلت : فقد قالوا : علوت فى (المكان) أعلو علوا ، وعليت فى الشرف علاء فجعلوا الشرف دون ارتفاع النصبة . قيل لم يجف الشرف عندهم ولا تبشع تبشع الكفر

---

(١) اللسان : المجلد : ١٠ الجزء الأول ص : ٧٠

(٢) المحتسب ٢ / ٢٩٩ ط المجلس الأعلى ، والإنصاف ١/١٤ ط ٤ ، وأسرار العربية لا بن الأنبارى ص : ٣١ والتصريح : ١ / ٥٩

(٣) النشر : ١ / ٢٠٢ (٤) ٢ / ١٣٩

(٥) المحتسب : ٢ / ١٣٩ ط المجلس الأعلى .

والغلو فى القول المعاقب عليه والمنهى عنه فلانٌ جانبه ونعمُ وعذبُ فى أنفسهم فبنوه على (فعِل) لتنقلب الواو ياء ، ومصدره على (الفعال) لعذوبته بالفتحتين والألف .

وابن جنى ينصح الباحث عندما يقبل على تلك الدراسة أن يكون رفيقاً رقيقاً حيث يقول :« وهذه أماكن إن رفقت بها ، وسانيْتها وتأنيَّتها ... أوْلتْك جانبها وأركبتك ذروتها وقبلتك لها ضيفاً وبسطتك يداً وسيفا ، وإن أخلدت بها إلى ضد هذا أخلدتْ بك إلى ضده ، فتلافيا ورفقاً لا مغالاةً ولا خُرقا[1] .

ولهذا لم يوفق الباحث حين وجه نقده إلى علماء العربية ظانا أن (الحركات) عندهم مبنية على ظاهر اللفظ وحده كما يقول ؛ فنص ابن جنى السابق يلحظ بالحركات أدق الخلجات وأخفى الأسرار حين جعل الصيغة تؤثر حركةعلى أخرى كلما ازدادت الحركة شبها بالمعنى ، يؤكد ذلك مارواه الجاحظ من أن الناس سمعوا ابن ضحيان الأزدى وهو من أشراف قومه يقرأ «قل يأيها الكافرون » «قليأيها الكافرين» «فلما سئل عن ذلك اللحن قال لسائله : إنى أعلم القراءة فى ذلكولكننى لا أجل أمر الكفرة . وكأنه يشير إلى حالة الخفض وهى أدنى أحوال الإعراب ومراتبه لأن الاسم فيها يكون فى أدنى منزلة من الكلام ، بعكس الرفع فهو عند النحاة أعلى مراتب الإعراب وأسناها ولا كيان للكلام بدونه ولا غناء له عنه أليس كما يقولون إنه «علم الإسناد» وكان ابن يعيش يسميه «أول الحركات»[2] فمذهب العرب فى الحركات والحروف مبنى على الحس وقائم على (نظرية التأثير) حيث رأى النحاة فى الكلمةالمفردة تفاعلا ،يقول الخليل « إن بعض الحروف أشد من بعض وأقوى جرسا . فإذا اجتمع حرفان قدموا الأقوى» .ويقولسيبويه :«وللحرف الأقوى تأثير فى الضعيف حتى إذا قدم عليه فلا يزال يؤثر فيه حتى يزحزحه عن مخرجه الأصلى ويحوله إلى حرف أقرب ما يكون إليه[3] . . . . » .

كما رأى النحاة فى الجملة أن كلماتها يتأثر بعضها ببعض ، فالكلمة تعمل فى جارتها الرفع أو النصب أو الجر ؛ وهذا التأثير فى الكلمة المفردة أو الجملة هو مفتاح صناعة الإعراب .

ويقول عالم مصرى وهو ابن بابشاذ (توفى١٠٧٧م) الدلالة دلالتان ــدلالةتدل دلالةالذات ودلالة تدل دلالةالإعراب ، فدلالةالذات هىالتى تدلعلى ذات الشئ فى

---

(١) المحتسب ٢ / ١٤٠ ط المجلس الأعلى وانظر كتابنا « نحو القلوب : ١٧٥ ط تونس » .
(٢) شرح المفصل ٣ / ٨٦
(٣) الكتاب : ٢ / ٢١٥

نفسه ، ودلالة الإعراب هى التى تدل على عوارضه التى تعرض فيه ألا ترى أنك إذا قلت : ما أحسنْ زيدْ، يفهم من زيد معنى الشخصية وهى ذاته ولا يعرف ما قصدت من المعانى من : نفى الإحسان عنه أو إثباته الحسن له ، أو الاستفهام عن ذلك فإذا أردت إثبات الحسن على طريق التعجب قلت : ما أحسن زيدا — بالنصب . وإذا أردت الاستفهام جررت زيدا ورفعت أحسن فقلت : ما أحسن زيد ، فهذه معان ثلاثة لم يفرق لك بين كل واحد منها وبين الآخر إلا الإعراب(١).

فالعلامة الإعرابية قرينة تطرأ على الكلمة لتدل على معنى الفاعلية والمفعولية والإضافة(٢) ، ويردد ابن يعيش رابطا بين حركة الإعراب ووظائف الكلمات فى التركيب فيقول « وكل واحد من الرفع والنصب والجر علم على معنى من معانى الاسم التى هى الفاعلية والمفعولية والإضافة(٣) .

ولو أن علامات الإعراب لا تدل على معنى لجمدت كما جمد اسم الإشارة (هذا) و(نعم وبئس) فلايقال : ينعم لأن أصل الفعل يدل على الحدث فى الماضى

ولكن هنا ضاع الزمن وضاع الإسناد فانتقل من الإخبار عن زمن خاص ومخبر عنه خاص إلى التكلم عن النفس ، ولذلك قالوا : إن هذا الأسلوب إنشائى وهو لايتصرف تصرفاً تاماً(٥) .

وفى قول النبى صلى الله عليه وسلم «لايقتل قرشى صبراً بعد اليوم» فمن رواه جزماً أوجب ظاهر الكلام للقرشى ألا يقتل إن ارتد ولا يقتص منه إن قتل ، ومن رواه رفعاً التأويل إلى الخبر عن قريش أنه لايرتد أحد منها عن الإسلام فيستحق القتل .

ولو أن قارئاً قرأ : فلا يحزنك قولهم إنا نعلم ما يسرون وما يعلنون . . . وترك طريق الابتداء بإنا، وأعمل القول فيها بالنصب على مذهب من ينصب أن بالقول كما ينصبها بالظن لقلب المعنى عن جهته وأزاله عن طريقه وجعل النبى (ص) محزونا لقولهم : إن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ، وهذا كفر ممن تعمده وضرب من اللحن لا تجوز الصلاة به(٦) .

فإذا قلت : هذا كريم أحسن منه عالم . فإن رفعت كريماً وعالماً كان المراد بهما شخصين اثنين أحدهما كريم والآخر عالم ،

---

(١) شرح المقدمة النحوية لابن باب شاذ ص : ٧٦ تحقيق الدكتور أبو الفتوح شريف ط ١٩٧٨ .
(٢) شرح الكافية : ١ / ٢٠ .
(٣) شرح المفصل ١ / ٧٣ .
(٤) مجلة المجمع : ١٠ / ٥٣ .
(٥) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة « ص ١١ فما بعدها ، تحقيق السيد صقر .

ولكن العالم أحسن من الكريم ، وإذا نصبتهما كانا شخصا واحدا عالماً وكريماً لكنه فى كرمه أحسن منه فى علمه .

فالنصوص السابقة لم يتغير شيء من تركيبها غير علامات الإعراب ، ولكن المعنى التركيبى قد تغير ، فترك الإعراب يوقع السامع فى الاشتباه واللبس فى فهم الجملة .

سابعا : نظرية تضافر القرائن :

ونحدد معالم هذه النظرية فيما يلى :

(١)أن العلامة الإعرابيةقاصرةعن التفريق بين المعـــانى ، فليس الفرق بين الحال والتمييز إلا أن أحـــدهما مشتق والآخر جامد أما الحركة فواحدة فيهما فلا يمكن التفريق بينهما بها ، وما كان للفتحة هنا أن تفرق بين المعنيين لوجودها فى كلتا الحالتين ، فكان لابد من الاستعانة بوسيلة أخرى تجيز عجز العلامة الإعرابية . والعلامة الإعـــرابية لا تستطيع أن تفسر لنا كل ما حمل عليها ، وإلا فما دور العلامة الاعرابية فى :

الأسماء المفردة المضافة لياء المتكلم ، والأسماء المقصورة وهى لاتظهر عليها علامات الإعراب والأسماء المنقوصة فى حالتى الرفع والجر؟ وما دور العلامة الإعرابية فى اتفاق أكثر من حالة فى علامة إعرابية واحدة ، كاتفاق الفاعل والمبتدأ والخبر واسم كان ،وخبر إن ، واتفاق المفاعيل كلهاوالحال والتمييز واسم إن وخبر كان ، والمنادى غير المفرد العلم فى النصب واتفاق المضاف إليـــه والاسم المجرور بحرف الجر ، وتبع المجرور فى الجر فهل العلامة الإعرابية وحدها قادرة على التمييز بين هذه المعانى ؟

والحقيقة أن العلامة الإعرابية وحدها لاتنهض بالعبء الملقى عليها ، وهى فى الواقع نتيجة قرائن أخرى ، لانعطيها حقها من الاهتمام حرصا على العلامة الإعرابية ، فالإعراب واحد من الأشياء التى تحدد المعنى الوظيفى وليس وحده الذى يحدد المعنى .

والإعراب فى بعض الحالات قد لايكون فاصلا بين المعانى . وهنا نلجأ اللغة إلى وسائل أخرى للفصل بين المعانى ، وقد ذكر ابن جنى منها :

الرتبة : أى التقديم والتأخير والمطابقة والسياق ودلالة الأحوال ، ويبين ابن جنى أن كلا من هذه علامة تقوم مقام الإعراب فى الفصل بين المعانى ، وفى هذا يقول ابن جنى : « فإن قلت : فقد تقول ضرب يحيى بشرى فلا تجد هناك إعرابا فاصلا ، وكذلك نحوه ، قيل : إذا اتفق ماهذه سبيله مما يخفى فى اللفظ حال ، ألزم الكلام من تقديم الفاعل وتأخير المفعول ما يقوم مقام بيان الإعراب ، فإن كانت هناك دلالة أخرى من قبل المعنى وقع التصرف فيه بالتقديم والتأخير نحو : أكل يحيى كمثرى : لك أن تقدم وأن تؤخر

كيف شئت ،وكذلك ضربتْ هذا هذه ، وكلم هذه هذا ، وكذلك إن وضح الغرض بالتثنية أو الجمع ، جاز لك التصرف ، نحو قولك: أكرم اليحْيِيان البُشْريينْ ، وضربْ البشريين اليحيون ، وكذلك لو أومأت إلى رجل وفرس ، فقلت : كلم هذا هذا فلم يجبه، لجعلت الفاعل والمفعول أيهما شئت ، لأن فى الحال بيانا لما تعنى ، وكذلك قولهم : ولدت هذه هذه . من حيث كانت حال الأم من البنت معروفة غير منكورة ، وكذلك إن ألحقت الكلام ضربا من الإتباع جاز ذلك التصرف لما تعقب من البيان، نحو: ضرب يحيى نفسه بشرى ، أو كلم بشرى العاقل معلى ،أو كلم هذا وزيدا نحى[1]» .

فتلك القرائن الكثيرة فى النص السابق تغنى عن قرينة الإعراب ، كما أن المعانى تحتاج فى الكشف عنها إلى قرائن أخرى غير الإعراب وحده ، والعلامة الإعرابية قرينة من القرائن اللفظية فى الجملة ولكن النحاة نسبوا كل تغير فى المعنى فى مستوياته المختلفة إلى تغير العلامة الإعرابية فأعطوها بذلك اهتماما فوق ماتستحق .

وكان ابن خلدون على حق عندما وصف الإعراب فى عهده بأنه « بعض أحكام اللسان» . ومعنى كلمته القيمة أن الإعراب ليس كل شىء فى أحكام اللسان[2].

والحق أن الانصراف إلى العلامات الإعرابيـــة وحدها — هو الذى أدى إلى ماصار إليه أمر النحو من تعقيد .

إن الحالات التى تفقد فيها العلامات الاعرابية وظيفتها فى الدلالة على المعانى الوظيفية تتخذ لها اللغة وسائل أخرى هى التى تسمى (بالقرائن) تعين على جلاء المعنى ، ومبدأ (القرائن أو تضافر القرائن) أشار إليه أسلافنا النحاة [3] ، كما أشار إليها ابن خلدون يقول : لم يفقد منها) (لغة هذا العهد) إلا دلالة الحركات على تعيين الفاعل من المفعول فاعتاضوا عنها بالتقديم والتأخير وبقرائن تدل على خصوصيات المقاصد ، لأن الألفاظ بأعيانها دالة على المعانى بأعيانها ، ويبقى ماتقتضيه الأحوال ويسمى (بساط الحال) محتاجا إلى مايدل عليه ، وكل معنى لابد وأن تكتنفه أحوال تخصه ،فيجب أن تعتبر تلك الأحوال فى تأدية المقصود ، لأنها صفاته . . . وأما فى اللسان العربى فإنما يدل عليها بأحوال وكيفيات فى تراكيب الألفـــاظ وتأليفها من تقديم أو تأخير أو حذف أو حركة إعراب ، وقد يدل عليها بالحروف غير المستقلة[4]» .

---

(١) الخصائص ١ / ٣٥ .
(٢) مقدمة ابن خلدون ١٣٩١ تحقيق وافى ط ٢ .
(٣) شرح المفصل ١ / ٩٤ ، شرح الكافية ١ / ٧٢ . الأشباه والنظائر ١ /٢٦٦ .
(٤) الملكة اللسانية فى نظر ابن خلدون — ١٥٠ د . محمد عيد .

وليست الأحوال والكيفيات فى تراكيب الألفاظ إلا القرائن التى منها : التقديم والتأخير وهى قرينة الرتبة ، والحذف وهو مظهر من قرينة التضام ، وحركة الإعراب وهى قرينة العلامة الإعرابية ، والحروف غير المستقلة وهى قرينة الأداة . ويقول ابن خلدون فى موضع آخر : ولاعبرة بقوانين النحاة فى ذلك ، وأساليب الشعر وفنونه موجودة فى أشعارهم ماعدا حركات الإعراب فى آواخر الكلم ، فإن غالب كلماتهم موقوفة الآخر (ساكنة) ويتميز عندهم الفاعل من المفعول ، والمبتدأ من الخبر بقرائن الكلام لا بحركات الإعراب[1] » .

فحركات الإعراب عنده يستغنى عنها بالقرائن ، والقرائن معنوية ولفظية ، وفى القرآن الكريم آيات كثيرة على جانب من الأهمية أهملت فيها العلامات الإعرابية اعتمادا على غيرها من القرائن[2] .

بهذا ظهر أن العلامة الإعرابية وحدها لا يمكن أن تكون محط التمييز بين المعانى المختلفة وأنها وحدها لا تكفى فى كشف العلاقات وتحديد المعنى الوظيفى ، وذلك أن الكلمات المقصورة أو المحكية تختفى فيها دور العلامة الإعرابية ، كما أن العلامة الإعرابية قد تسقط ترخصاً عند أمن اللبس ، لأسباب صوتية أو تناسق موسيقى .

هذه النظرية السابقة نسج خيوطها ، وكون لحمتها وسداها ، وكان صاحب الفضل فى لمحها والتخطيط لها العالم الجاد الدكتور تمام حسان ، فكان جريئاً فى أدب ، فاصلاً فى رفق ، بالغاً محزّ الصواب فى غير التواء[3] .

وقد لخص هذا العالم ما قام به حيث :

(١) أحصى القرائن النحوية معنوية ولفظية ، وتقديم دراسة لكل واحدة منها .

(٢) إنشاء مبدأ هام وهو مبدأ تضافر القرائن .

(٣) إنشاء مبدأ آخر أهم وهو جواز إهدار القرينة عند أمن اللبس .

(للبحث بقية)

أحمد علم الدين الجندى

---

(١) المقدمة ٤ / ١٤٣٦ فما بعدها تحقيق د . وافى ط ٢ .

(٢) اللغة العربية معناها ومبناها ٢٣٥ .

(٣) انظر كتابه : «اللغة العربية معناها ومبناها ، والقرائن النحوية» ، وهو بحث نال به الدرجة الأولى من المكتب الدائم للتعريب بالرباط

نحو قراءة نحوية ميسرة

للدكتور احمد طاهر حسنين

كيف نقرأ النصوص العربية بطريقة تتناسب وقواعد النحو العربى ؟ بعبارة أخرى كيف نستطيع أن نقرأ اللغة العربية ومعنا فقط قدر يسير من المعلومات النحوية ؟

لقد شغلنى هذا السؤال طويلا ؛ إذ أن الطالب الذى يدرس قواعد النحو ربما يدرس كل القواعد ، ومع ذلك إذا طلب إليه أن يقرأ نصا مكتوبا فإنه يخطئ ، لماذا ؟ ربما لأن المعلومات النحوية التى حصلها تتغالب جميعها أمام الكلمة فلا يدرى ما إذا كانت هذه الكلمة أو تلك مرفوعة أو منصوبة أو مجرورة أو مجزومة . ويظل الطالب يقلب هذه الأوجه الأربعة حتى يجيئه المدد فينطقها أخيراً وبعناء منصوبة ، وقد تكون الحالة رفعا أو مرفوعة وقد تكون الحالة جرا وما إلى ذلك .

قديما قالوا : « سكن تسلم » وهو وان كان حلا موقتا فإنه لا يرضى الراغبين فى قراءة نحوية سليمة .

ليست هذه مجرد ديباجة أستفتح بها هذه المقالة ولكنها حقيقة نلمسها جميعا فى طلابنا سواء كانوا من المصريين أم ضيوفا علينا من الأجانب الذين قدموا لدراسة اللغة العربية .

وبرغم أن حالات الإعراب محدودة : رفع ونصب وجر وجزم ، وبرغم أن الحركات الأصلية لهذه الحالات منحصرة أساسا فى الضمة والفتحة والكسرة والسكون فإن المسألة كانت وماتزال تمثل حيرة كبيرة لقارئ اللغة العربية .

لقد اهتم السابقون بالحركات الثلاث : الضمة والفتحة والكسرة وكذلك بالسكون ؛ وذلك إذ راحوا يفرضون لها وجودا دائما وملحافى أى تركيب عربى ، ولا أدل على هذا من قصة الإعراب وما نجده فيها من إعراب أصلى يكون فيه الرفع بالضمة والنصب بالفتحة والجر بالكسرة والجزم بالسكون ، أو إعراب بنيابة حركة عن حركة أخرى أو حرف عن حركة ، أو إعراب يدل عليه بحذف أحد حروف الكلمة ، وأحيانا وفى حالة تعذر ظهور شئ من هذا كله نقرأ عن إعراب مقدر منع ظهوره التعذر حينا أو الثقل فى أحايين أخرى .

إن الناظر فى كتب التراث النحوى يجد ترتيبا يكاد يكون ثابتا وهو : المرفوعات فالمنصوبات والمجزمات ثم المجرورات .

لذلك كان على دارس النحو أن يبدأ رحلته مع المرفوعات أولا ثم يعرج بعدها على المنصوبات فالمجزومات وفى نهاية تطوافه يبدأ بدراسة المجرورات ؛ يبدؤها فى مرحلة متأخرة نسبيا وقد كل ذهنه وتبددت قواه بين أبواب النحو الأخرى .

وان نظرة إلى كتب النحو المؤلفة منذ سيبويه حتى الآن تدعم مانقول : فى كتاب سيبويه — وهو أقدم كتاب نحوى وصلنا — المجرور يأتى بعد المرفوع وبخاصة الفاعل .

وفى رسالة منسوبة إلى خلف الأحمر وهى مقدمة فى النحو نجد المؤلف يضع الأدوات التى ترفع أولا ثم يذكر الأدوات الناصبة لما بعدها ثم الأدوات التى تخفض تأتى بعد ذلك .

وفى المقتضب للمبرد نجد المؤلف يتكلم عن الفاعل والمفعول به عارضا بعض موضوعات صرفية كالأبنية والتصاريف ونحوها ثم التوابع من نعت وعطف وتوكيد وبدل ثم حروف الخفض والإضافة .

وفى الإيضاح للفارسى نجد تبويب الموضوعات النحوية على أساس العامل ، ولكنه يبدأ بذكر المبتدأ والخبر فالفاعل (أى بذكر المرفوعات) ثم المنصوبات تليها بعد ذلك الأسماء المجرورة .

وفى اللمع لابن جنى يبدأ المؤلف كذلك بذكر الأسماء المرفوعة : المبتدأ والخبر ، الفاعل ، نائب الفاعل ، اسم كان ، خبر إن ، ثم الأسماء المنصوبة تليها حروف الجر والإضافة .

وفى ملحة الإعراب للحريرى نجد مقدمة عامة عن الكلام فالنكرة والمعرفة . ولعل ذلك هو الكتاب الوحيد الذى يقدم حروف الجر والإضافة قبل المبتدأ والخبر .

أما فى أسرار العربية لابن الانبارى فاتباع للمذهب السائد من جديد أى أنه يعرض المبتدأ والخبر فالفاعل ونائبه ثم المجرورات .

وفى كتاب المفصل فى صفة الاعراب نجد الزمخشرى يبدأ أيضاً بالمرفوعات ثم المنصوبات تليها المجرورات .

هذا وتتردد نفس الظاهرة لدى كل من ابن هشام وابن عقيل وابن مالك مع تعديل يسير فى تقديم نقطة على نقطة داخل الباب الرئيسى : المرفوعات أو المنصوبات مثلا ، والحقيقة هنا هى وضع المجرورات متأخرة فى الترتيب :

كما نرى : يحتل الاهتمام بالضمة والمضموم وحالة الرفع عموما مكان الصدارة فى كل هذه الكتب القديمة ، حتى إذا فرغ المؤلفون من ذلك ذكروا المنصوبات تليها المجرورات فالمجزومات :

وسر البدء بالمرفوع واضح إذ أن الاهتمام بكتابة جملة تامة قد سيطر على هذه المناهج جميعها . فحرة العمدة والفضلة كان لها أثرها فى ذلك : العمدة وهو الأصل فى الكلام يكون دائماً مرفوعاً ولهذا فقد أعطوه أولوية خاصة ، أما الفضلة ومنه حالة الجر فكان عليه أن يخضع لرغبة القدماء وأن يجئ متأخرا فى الترتيب فى كل هذه الكتب تقريبا .

ومنذ أوائل القرن العشرين قامت صيحات جريئة وحرة تنادى بتجديد النحو : بطرح المناقشات الجدلية منه أحيانا ، بحذف الأمثلة المتكلفة والتعسفية أحيانا ، بجعله وظيفياً تارة أو منهجيا تارة أخرى ، بجعله وافياً مرة أو واضحا مرة ، بتصفيته ، بتنقيته ، بـ . . . بـ . . . . إلى آخره .

وكلها فى نظرى محاولات ماتزال شابة ومفيدة ، وإن كنت آخذ عليها أنها لم تحاول أن تتخلص كلية من المنهج الذى فرضه الأقدمون ، بمعنى أن المرفوع ظل مقدساً لدى كل الباحثين المحدثين، وبالتالى تأخر المجرور دائما فى الترتيب وهى نفس الظاهرة التى نجدها فى كتب الأقدمين .

إن أحدا من هؤلاء الباحثين لم يحاول أن يمس جوهر تصنيف القدماء للنحو أو نقول جوهر جدولتهم لموضوعاته ؛ بمعنى أنه حتى الآن لم يصدر كتاب نحوى يقدم المجرور على المرفوع والمنصوب .

قد يقال إن البدء بالمرفوع هو الأهم لتأليف أو كتابة جملة تامة ، هذا صحيح ولكنى أرى أنه آن الأوان لأن تتخصص دراستنا فى النحو أكثر وأكثر ، يجب إذن أن نفصل بين شيئين :

النحو للكتابة ، النحو للقراءة

بعبارة أخرى : إذا كان الغرض هو تعليم النحو لتدريب الطالب على الكتابة فقد لانجد بديلا عن كل الكتب المؤلفة أو بعضها أو واحد منها لتساعد الطالب على كتابة جملة تامة (وأنا لا أناقش هذا الآن) .

أما إذا كان النحو للقراءة بمعنى أننا إذا أردنا توظيف النحو للحصول على قراءة نحوية سليمة فإن الأمر يختلف،وعلينا أن نعيد النظر من جديد فى تصنيف السابقين وإيرادهم لأبواب النحو ومسائله :

الكتب القديمة فى رأيي — وكذا كل ماسار عـــلى خطتها من الكتب الحديثة — لاتخدم القارئ بطريقة سريعة ومباشرة — أقول بطريقة سريعة ومباشرة — فى أن يقرأ قراءة نحوية سليمة .

ذلك لأن المجرورات وهى التى وضعها معظم النحاة من قدماء ومحدثين على السواء فى أواخر كتبهم — أقول: هذه المجرورات تحتل مكان الصدارة فى كثير من النصوص العربية .

بعبارة أخرى : من الناحية النظرية : المجرورات موضوعة فى أواخر الكتب النحوية ربما لأنها لاتعين على كتابة جملة تامة ، أما من الناحية العملية فإنى أرى أنها أهم ، ويجب أن تجىء سابقة عن غيرها خاصة وأنها أكثر دورانا فى النصوص من غيرها وهذا هو الفرق بين النظرية والتطبيق فى مجال النحو .

أنوه هنا بالبحث الذى قام به الأستاذ يعقوب م . لنداو Jacob M. Landau والمنشور بنيويورك سنة ١٩٥٩ تحت عنوان :

A word Count of modern Arabic Prose, N. Y. 1959

قام لندا وباستقراء المفردات المستعملة فى النثر الحديث سواء فى الكتب الأدبية أو لغة الصحافة وقد استقى مادته من ستين كتابا منها :

أحمد حسن الزيات : فى أصول الأدب ، طه حسين : الأيام ج ١ ، المازنى : فى الطريق ، العقاد : مطالعات ، أحمد أمين : ضحى الاسلام ج ١ ، زكى مبارك : ليلى المريضة ج ١ ، محمود تيمور : نداء المجهول ، محمد عبده : الاسلام والرد على منتقديه ، عبد الرحمن الرافعى : مصطفى كامل ، مى زيادة : كلمات وإشارات ، فكرى أباظه : الضاحك الباكى ، وغير ذلك (انظر صفحات ٩ ، ١٥ ، ٣٣٣)

المهم أن إحصاءه وصل إلى ٢٧٢١٧٨ كلمة . وليسمح لى القارئ هنا أن أقتبس من بحث لنداو الجزء الذى يخدم غرضى فى هذه المقالة ، وهذا الجزء خاص بتردد حروف الجر .

لاحظ لنداو أن حرف الجر

فى	تردد	١١٨٧١	مرة
من	»	٧١٢٧	»
على	»	٤٩٧٢	»
إلى	»	٤٦١٥	»
بـ	»	٤٣٤١	»
لـ	»	٣٤٥٨	»
عن	»	١٦١٧	»
مع	»	٦٣٩	»
المجموع		٣٨٦١٠	

($\frac{1}{7}$ المجموع الكلى تقريبا)

وحيث إن حروف الجر هذه تستتبع وجود أسماء مجرورة بعدها فإننا نستطيع أن نتصور الحجم الهائل لكمية المجرورات بحروف الجر ، وبحسبنا أن نعرف أن هذا قسم واحد من المجرورات ، فماذا تكون عليه هذه الكمية لو أضفنا إليه المجرور بالإضافة والمجرور بالتبعية ؟

لقد قمت باستقراء عدة نصوص : قديمة وحديثة على السواء فوجدت أن حظ الكسرة أو الكلمات المجرورة عموما أكثر من غيرها ، فوضعت لذلك فرضا هو :

إنى إذا أعطيت نصاً عربياً لطالب لايعرف من اللغة إلا الاستهجاء الألفبائى فقط ، وطلبت إليه أن يقرأ كل كلمات النص بالجر فإن خطأه لن يتجاوز ٢٠ ٪ (بالطبع فإن إسقاط المبنيات من احتمال الخطأ يعيننا فى الحصول على هذه النسبة) :

نفرض أن معنا نصا عربيا وليكن فى أى موضوع ، كما نفرض جدلا أن هناك صعوبة مطلقة فى قراءة هذا النص قراءة نحوية سليمة — هنا تقدم محاولتى ثلاث خطوات :

الخطوة الأولى :

أن نستبعد من دائرة الصعوبة كل الكلمات التى تستحق الكسرة أو تكون فى حالة جر (وهنا تدخل الضمائر المتصلة فى العد رغم أن الإعراب لا يظهر عليها لاحتمال أن يكون ثمة بدائل لها من الأسماء الظاهرة أحيانا) .

الخطوة الثانية :

نرى أن هناك كلمات سهلة بطبيعتها وهذه يجب استبعادها أيضا من دائرة الصعوبة وذلك مثل حروف الجر ، حروف العطف الضمائر المتصلة أو المنفصلة ، أسماء الإشارة الاسماء الموصولة ، أو هذه الكلمات التى يكون آخرها ألفا وتنوين فتحة .

بعد هاتين الخطوتين يكون قد تبقى من النص القليل المشكل فى قراءته .

الخطوة الثالثة :

وبها حاولت أن أتعرف أولا على نوعية هذا القليل المشكل ثم أصنفه على أساس من كثرة دورانه فى النصوص المختلفة . وقد حاولت أن أجد بعض الطرق الميسرة لإسقاط بعضه من حساب الصعوبة وما تبقى بعد ذلك هو وحده ما يجب أن يستوقفنا ونحن بصدد وضع تخطيط واضح لنحو القراءة .

لقد اخترت سبعة نصوص هى :

— أخبار أبى نواس من كتاب « طبقات الشعراء » لابن المعتز (ت ٢٩٦ هـ) .

— فى التهديد واللوم لابن العميد (ت ٣٦٠هـ) :

— فى وجه الصواب فى تعليم العلوم وطريق افادته من مقدمة ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ)

— تقديم الدكتور محمد النويهى لكتابه قضية الشعر الجديد .

— من العادات والأعياد فى البلاد العربية من كتاب العربية المعاصرة (المرحلة المتوسطة) تأليف الدكتور بينر عبود وآخرين (وهو كتاب يستعمل لتدريس العربية للأجانب) .

— قطعتان مأخوذتان من المقالة الافتتاحية لجريدة الأهرام القاهرية من عددين صادرين بتاريخ ١٧ / ٢ ، ٩ / ٣ / ١٩٧٨ .

محاولتى فى كل هذا تقوم على عملية استقراء بسيطة، رصدت فيها كلمات كل نص عن طريق عد حسابى مجرد، أقمت على أساسه تحليلا مفصلا لكل نص من هذه النصوص على حدة يلى ذلك نظرة إجمالية للنصوص المدروسة كلها .

ونظراً لطول هذه النصوص وكذا التحليل فإنى أجتزئ هنا بذكر ثلاثة نماذج منها فقط :

النص الأول :

لابن المعتز من كتاب «طبقات الشعراء» (صفحتى ١٩٣ ، ١٩٤) عن أخبار أبى نواس :

« حدثنى على بن حرب أخو محمد بن حرب بن خالد ابن المهزم قال : حدثنى

أخي محمد بن حرب . وكان بين الأخوين قريب من خمسين سنة أن أبا نواس واسمه الحسن بن هانى ءويكنى أباعلى ولد بالأهواز بالقرب من الجبل المقطوع المعروف براهان سنة تسع وثلاثين ومائة ، ومات ببغداد سنة خمس وتسعين ومائة وكان عمره خمسا وخمسين سنة ، ودفن فى مقابر الشونيزى فى تل اليهود ، ومات فى بيت خمارة ، كان يألفها ، وكانت أمه أهوازية يقال لها جلبان من بعض مدن الأهواز يقال لها نهر تيرى ، وأبوه من جند مروان بن محمد من أهل دمشق مولى لآل الحكم بن الجراح من بنى سعد العشيرة وكان قدم الأهواز أيام مروان بن محمد الرباط الخليل فتزوج جلبان فأولدها عدة منهم أبو نواس وأخواه أبو محمد وأبو معاذ ، وكان أبو معاذ يؤدب ولد فرج الرخجى ، ومات والدهم هائىء وأبو نواس صغير فنقلته أمه إلى البصرة وهو ابن ست سنين فأسلمته إلى الكتاب ، فلما ترعرع خرج إلى الأهواز فانقطع إلى والبة بن الحباب الشاعر ، وكان والبة يومئذ مقيما بالأهواز عند ابن عمه النجاشى وهو واليها فأدبه وخرجه ، وكان أبو نواس وضيئاً صبيحاً فعشقه والبة وأعجب به وعنى بتأديبه حتى خرج منه ماخرج ، ولما مات والبة لزم خلفا الأحمر وكان خلف أشعر أهل وقته وأعلمهم فحمل عنه علما كثيراً وأدباً واسعاً فخرج واحد زمانه فى ذلك .

التحليل :

عدد كلمات هذا النص ٢٩٠

عدد الكلمات التى تستحق الحبر ٩٧

كلمات سهلة التشكيل (مثل الحروف والضمائر) ١٠٦

٩٧ + ١٠٦ = ٢٠٣

الكلمات المشكلة :

٢٩٠ – ٢٠٣ = ٨٧ كلمة تتوزع كالآتى :

صور الفاعل ٧ منها صورتان سهلتان (أخى . ما خرج (الباقى الصعب إذن ٥)

صور المبتدأ ٦ منها (أبو نواس . أخواه) الباقى ٤

صور الخبر ٧ منها صورتان سهلتان (من جند ، فيهم) الباقى ٥

المفعول به ١٩ منها ١٢ سهلة مثل ضمائر (حدثنى ، يألفها) الباقى ٧

اسم كان ٨ منها (وكان أبو نواس) مكررة مرتين فالباقى ٦

خبر كان ٨ منها ٥ (من الأخوين ، خمسا وخمسين ، مقيما . . الخ) الباقى ٣

الفعل الماضى ٢٠ وهذا سهل التشكيل

المضارع ٥ = ٥

التمييز ٣ ولكنها مكررة : كلمة « سنة » فى إعطاء التاريخ فهى إذن صورة واحدة الظرف ٣ منها حينئذ والباقى صورتان

الحال $\frac{١}{٨٧}$ $\frac{١}{٣٩}$

نسبة الكلمات الصعبة إلى النص كله ٣٩ كلمة من ٢٩٠ كلمة أى حوالى $\frac{1}{7}$ النص وهذه النسبة تتوزع أساساً على أبواب :

الفاعل ، المبتدأ والخبر ، اسم كان وخبرها ، المضارع المرفوع .

النص الثانى :

لابن العميد (ت ٣٦٠) فى التهديد واللوم.

« كتابى وأنا مترجح بين طمع فيك ويأس منك وإقبال عليك وإعراض عنك ، فإنك تدل بسابق حرمة وتمت بسالف خدمة، أيسرهما يوجب رعاية ويقتضى محافظة وعناية ثم تشفعهما بحادث غلول وخيانة وتتبعهما بأنف خلاف ومعصية وأدنى ذلك يحبط أعمالك ويسحق كل ما يرعى لك . لاجرم أنى وقفت بين مثل إليك وميل عنك أقدم رجلا لصدك وأؤخر أخرى عن قصدك ، وأبسط يدا لاصطلامك واجتياحك وأثنى ثانية لاستبقائك واستصلاحك وأتوقف عن امتثال بعض المأمور فيك، ضنا بالنعمة عندك ومنافسة فى الصنيعة لديك وتأميلا لفيئتك وانصرافك ورجاء لمراجعتك وانعطافك» .

التحليل :

عدد كلمات هذا النص ١٦٣

عدد الكلمات المستحقة للجر ٥٤

المجموع = ١٢٧

عدد كلمات سهلة التشكيل ٧٣

الباقى المشكل إذن ١٦٣ — ١٢٧ = ٣٦ كلمة تتوزع كالآتى :

المبتدأ ٣ منها (كتابى ، أنا) الباقى الصعب إذن ١

الخبر ٤ منها صورتان (جملة فعلية) الباقى ٢

المضارع المرفوع ١٤ = ١٤

المفعول به ١٠ نصفها ضمائر متصلة أو كلمات مشكولة أساسا

مثل : تشفعهما ، تتبعهما ، رجلا ، يدا ، أخرى ، الباقى ٥

المفعول لأجله ٤ منها (٣ آخرها ألف فلا صعوبة فى قراءتها) الباقى ١

الفعل الماضى $\frac{1}{36}$ هذا عادة سهل التشكيل

المجموع = ٢٣

كما نرى نسبة الكلمات الصعبة هنا ٢٣ فى نص عدد كلماته ١٦٣ كلمة. وهذه الصور الصعبة تتوزع أساسا على أبواب :

المضارع المرفوع ، المفعول به ، الخبر.

النص الثالث :

تقديم (من كتاب قضية الشعر الجديد للدكتور محمد النويهى) :

« هذا الكتاب يتناول مسألتين نعدهما أهم مسائل الشعر العربى الجديد الذى يقوم على التفعيلة الواحدة ولايتقيد بعدد محدد من التفاعيل فى كل بيت ، أولاهما مسألة اقترابه من لغة الكلام الحية التى يتكلمها الناس فى واقع حياتهم ، وثانيتهما مسألة شكله الجديد الذى خرج على عدد من القواعد العروضية القديمة والذى يبشر بابتكار نظام إيقاعى جديد يختلف عن الأساس الإيقاعى للشكل التقليدى :

وكلتاهما مسألة تثير الخواطر ويمتد فيها الجدل فى صحفنا وأنديتنا هذه الأيام

فهما محتاجان إلى دراسة استقرائية متأنية ونقاش موضوعى هادئ ربما يكون خير مجال لهما فى قاعات الدرس والمحاضرة بين الأستاذ الجامعى وطلبته الناجحين من طلاب الدراسات العليا .

وقد عرضت الأفكار الأساسية التى يحتويها هذا الكتاب على طلبتى بمعهد الدراسات العربية العالية بجامعة الدول العربية فساعدنى نقاشهم لها وتقليبهم النظر فيها على تهذيبها، فإذا كنت قد وضعتها الآن فى صيغة تلائم الكتاب المطبوع بعد أن كانت فى صيغة الحديث المسموع فإن القارئ سيلاحظ برغم ذلك بقايا عديدة من أسلوب المحاضرة والنقاش الشفوى » .

التحليل :

عدد كلمات هذا النص ١٩٨ كلمة

الكلمات التى تستحق الجر ٨٥

كلمات سهلة التشكيل ٦٧

مثل : هذا ، الذى ، على ، لا ،

فى ، من ، قد ، الخ ٨٥ + ٦٧ = ١٥٢

الكلمات الصعبة اذن ١٩٨ — ١٥٢ = ٤٦ كلمة

هذه الكلمات الصعبة تتوزع كالآتى :

المبتدأ ٥ منها كلمة (كلتاهما) الباقى الصعب اذن ٤

الخبر ٥ منها فعل مضارع واحد فالباقى ٤

المضارع المرفوع ١٣

المفعول به ١٢ منها ٥ ضمائر متصلة ، كلمة (بقايا) يبقى ٦

اسم كان ٣ منها ١ ضمير مستتر فالباقى ٢

خبر كان ٢ جار ومجرور وجملة قد

الفعل الماضى ٦ منها (كانت) يبقى ٥ صور :

(اثنتان مبنيتان على الفتح)

(وثلاث مبنية على السكون)

وهذا سهل التشكيل

٤٦ ٢٩

الكلمات الصعبة جدا هى ٢٩ كلمة فى نص عدد كلماته ١٩٨ كلمة وهذه الصور الصعبة تتوزع أساساً على أبواب :

المضارع المرفوع ، المفعول به ، المبتدأ والخبر

وخشية التطويل أقف بالإحصاء عند هذا الحد راجيا أن يلحظ القارئ أن النصيب الأكبر كان للفعل المضارع والمبتدأ والخبر والفاعل والمفعول به وذلك فيما يتعلق بهذه النصوص الثلاثة فقط .

وقد أرى من الضرورى هنا أن أضيف إلى ما سبق هذه الإحصائية الشاملة التى توصلت اليها بعد استقرائى للنصوص السبعة كلها .

عدد كلمات النصوص السبعة ١٢٧٢ كلمة

عدد الكلمات المستحقة للجر ٥٠٠ كلمة

عدد الكلمات سهلة التشكيل $\frac{٤٨٩}{٩٨٩}$ كلمة

الكلمات المشكلة إذن ١٢٧٢ ـ٩٨٩= ٢٨٣ كلمة ، ولكنى وجدت أن نصف هذا العدد تقريبا يمكن إسقاطه وذلك :

ـ حين كان هناك مثلا صورة « أبو » أو أخواه

ـ أو حين كان هناك فعل من الأفعال الخمسة التى ترفع بثبوت النون والنون كانت موجودة .

ـ أو مثلا حين كان الخبر جملة فعلية ولم يكن ثمة داع للتشكيل .

النتيجة لهذا كله أن الكلمات الصعبة تنحصر فى حوالى ١٥٠ كلمة فقط من المجموع الكلى وهو ١٢٧٢ . وهذه الكلمات الصعبة تتوزع أساسا على أبواب :

المضارع المرفوع ، المبتدأ والخبر ، الفاعل المفعول به

وأتساءل : أين المضارع المجزوم فى كل هذا؟ أين المنادى ؟ التحذير؟ أسلوب التعجب ؟ المضارع المنصوب ، المغرول معه ؟ نائب الفاعل ؟

كل ذلك على سبيل الأمثلة لا الحصر .

ليس هذا بمغمز أرجو من ورائه طرح هذه الأبواب جانبا لأنها لم ترد فى النصوص التى أجريت عليها استقصائى ولكنها فقط مجرد ملاحظة تدفعنا إلى استقراء نصوص أكثر وأكثر حتى نستطيع أن نحدد فى ثقة واطمئنان أى الأبواب النحوية أكثر ورودا ودورانا . عندها تكون الكلمة لتصنيف جديد لنحو القراءة .

إننى أدعو إلى كتابة « نحو للقراءة» بمعنى أن نكتب كتابا فى «قواعد النحو» يكون هدفه خدمة القراءة . وهذا الكتاب المؤمل فيه أتصوره فى مقدمة وفصلين .

المقدمة تكون صرفية ولغوية بحتة ويكون الغرض منها تمرين الطالب المبتدئ على نطق كلمات بأكملها كما هى فى اللغة وذلك مثل : الحروف ، الظروف ، المبنيات كالضمائر وأسماء الإشارة ، الموصول وهى جميعا مما لا يتغير شكله على الدوام .

ثم فى الفصل الأول نبدأ بعرض شامل للنسبة الراجحة فى الكلام ، وهى تلك التى تشتمل على الكلمات المجرورة سواء بحروف جر أو عن طريق الإضافة أو لكونها من توابع المضاف إليه : أى مجرور بصفة عامة وهذا فى رأيى جزء نستطيع جميعا أن نتفق عليه .

أما فى الفصل الثانى من الكتاب المقترح فينبغى أن يأتى ليشمل النسبة المرجوحة وهى تلك التى تشتمل على الكلمات المشكلة على القارئ ، وهنا أرى أن يقدم فى البحث الأبواب النحوية الأكثر دورانا فى النصوص أولا بأول وذلك طبقا لما توحى به النصوص المدروسة

دعنا نبدأ من البداية : نقوم بعملية مسح أو جرد شامل لكتب المرحلة الابتدائية

مثلا فى القراءة والنحو . وأن نرى إلى أى مدى تستعمل الأبواب النحوية التى نعلمها لتلاميذنا فى مساعدتهم على قراءة نحوية سليمة .

إننى أتصور أن تفرغ كل الصور النحوية الواردة فى تراكيب موضوعات القراءة ونضعها على حدة : نرتبها ونصنفها على أساس من كثرة دورانها فى النصوص ، وأن تعطى الأولوية لمن يتردد أكثر وبعد ذلك نقدم للطالب فقط مايعينه من أساسيات النحو التى تخدمه وتساعده على أن يقرأ قراءة نحوية سليمة ومضبوطة .

وبعد . فهل آن لأساتذة النحو فى مدارسنا وجامعاتنا أن يمدوا أيديهم إلى هذه المحاولة! أرجو أن يكون ذلك قريبا .

أحمد طاهر حسنين

ابن مكنسة

المصري الإسكندري

شاعر الإخاء

بقلم أستاذنا محمد قنديل البقلي

ظل الدولة الفاطمية نشأ رجل معروف هو أبو النجم بدر بن عبد الله الجمالى وكان أصله من أرمينيا ، ثم اشترى ورباه من اشتراه ، وكان الذى اشتراه هو جمال الدولة ابن عمار ، فنسب بدر بن عبد الله إليه ، من أجل هذا قيل له الجمالى .

ومازال هذا الشاب الأرمينى ينمو ويترعرع إلى أن أصبح ملحوظاً ذا رأى وكلمة فولاه المستنصر صاحب مصر إمارة دمشق سنة ٤٥٥ للهجرة ، إلى أن كانت فتنة نشبت فى مصر ، فلم ير المستنصر بين يديه رجلا يستعين به على إخماد تلك الفتنة غير بدر بن عبد الله الجمالى ، فاستدعاه من دمشق ، وصدق بدر بن عبد الله الجمالى ظن المستنصر وقضى على الفتنة وخلّص المستنصر من شرها فجزاه المستنصر على ذلك بأن قلده وزارة السيف والقلم ، وغدا الحاكم الفعلى الذى يرجع إليه فى كل الأمور أيام حكم المستنصر الى أن وافته منيته سنة ٤٨٧ هـ .

ابن بدر الجمالى :

ولقد خلف بدر الجمالى ابنا لم يكن بأقل من أبيه دهاء وحنكة هو أبو القاسم أحمد ابن بدر الجمالى ، وكان يلقب بالأفضل شاهنشاه ، ولقد وزر الأفضل للمستعلى الخليفة الفاطمى من سنة ٤٨٨ للهجرة ، الى سنة ٤٩٥ للهجرة ، ثم للآمر بأحكام الله العبيدى ، ومازال يلى وزارته إلى أن قتل الآمر بأحكام الله سنة ٥١٥ للهجرة .

مكانة الأفضل والتفاف الشعراء حوله :

ولقد كان الأفضل شاهنشاه حسن التدبير عظيم الرأى واسع الصيت ، اجتمع له مع فضله وعظمته ومكانته فضل أبيه بدر الجمالى ، فالتف من حوله الشعراء يمتدحونه ويشيدون بفضله وعظمته .

وكان الأفضل شاهنشاه ذا يسار ، وكان إلى هذا اليسار الواسع جوادا معطاء .

ويقال إن الأفضل شاهنشاه خلف من الأموال مالم يسمع بمثاله ، يقول أبو منصور ظافر بن حسين الأزدى الأنصارى المصرى المتوفى سنة ٦٢٣هـ . فى كتابه « الدول

المنقطعة » : خلف — يعنى الأفضل شاهنشاه — ستمائة ألف ألف دينار عينا ، ومائتين وخمسين أردباً نقد مصر ، وخمسة وسبعين ألف ثوب ديباج أطلس ، وثلاثين راحلة أحقاق ذهب عراقى ودواة ذهب جوهر قيمته اثنى عشر ألف دينار ، وخلف من الرقيق والخيل والبغال والمراكب والطيب والتجمل والحلى مالم يعلم قدره إلا الله سبحانه وتعالى .

هذا شيء مما خلفه الأفضل شاهنشاه، فلقد ذكر ظافر صاحب «الدول المنقطعة» أكثر من هذا ، ولقد اجترأت هنا بهذا القليل الذى يشير إلى الكثير ، ويعطينا لمحة عن تلك البحبوحة العريضة التى كان يعيش فيها الأفضل شاهنشاه :

ولم يكن الأفضل مع هذا الغنى الواسع ذا يد مقبوضة بل كان ذا يد مبسوطة على الناس عامة ، وعلى الشعراء خاصة ،لهذا لم نر شاعرا من شعراء عصره إلا كان أسير عطائه ومنطويا تحت لوائه ، كلهم يصبحون ويمسون على مدحه والتحدث بفضله .

الشعراء الذين مدحوا الأفضل :

من هؤلاء الشعراء الذين عاشوا على باب الأفضل شاهنشاه وحظوا من منته بأجزلها :

١ — الشريف أبو جعفر محمد بن محمد ابن هبة الله العلوى الحسينى ،ومن شعره فى مدح الأفضل وتهنئته بعيد الفطر سنة ٥١٥ للهجرة وهى السنة التى قتل فيها الأفضل :

قد تجاوزت فى العلا الجوزاء
واستمدت منك البها والبهاء
لم تزل للعيون منذ تراءت
لك جلاء وللقلوب رجاء

وله فيه أيضا :

أجل هواك عن منن العتاب
وإن أبعدتنى بد اغتراب
أما وهواك لو خُبِّرت عنى
لم ألقاه عزّ عليك مابى

وللشريف بن هبة غير هذه وتلك قصائد كثيرة فى مدح الأفضل شاهنشاه .

وغير الشريف بن هبة الله من شعراء عصر الأفضل الذين عاشوا ببابه :

٢ — مسعود الدوله النحوى ، وله هو الآخر مدائح فى الأفضل ، كما كان من شعراء الأفضل :

٣ — أبو على حسن بن زيد بن إسماعيل الأنصارى ، وله فى الأفضل قصيدة سائرة يقول منها :

مجدا فقد قصّرت عن شأوك الأمم
وأبدت العجز منها هذه الهمم

وله من أخرى فى الأفضل أيضا :

أطاع أمرك فى أعدائك القدر
ولا دنت أبدا من ملكك الغير

ونذكر مع هؤلاء من شعراء عصر الأفضل :

أبا الحسن على بن محمد بن محمد بن النضر المعروف بالأديب ثم طلائع الآمرى

ثم شاعرنا ابن مكنسة ، الذى سأحدثك عنه هنا بعد قليل ، شعراء تناولوا الأفضل بالهجاء .

وكما كان حول الأفضل شاهنشاه شعراء مداحون ، كان ثمة من لم يرضوا برّه وتفضيل غيره عليه ، فانطلقت ألسنتهم بهجائه ، وكانوا قلة لا تذكر معهم كتب التراجم إلا الناجى المصرى ، ويذكر العماد الأصفهانى فى كتابه « خريدة القصر وجريدة أهل العصر » فى القسم الخاص بشعراء مصر للناجى هذا فى هجاء الأفضل يقول فيه :

قُل لابن بدرٍ مقال مَنْ صَدَقَه
لا تفرحنّ بالوزارة الخَلِقَة
إن كنت قد نِلتَها مراغمةً
فهى على الكلب بعد كم صَدَقَة

إلا أن الشاعر الهاجى مالبث أن عاد فاعتذر ، وقبل الأفضل اعتذاره وأجازه بألف دينار .

ابن مكنسة :

وشاعرنا أبو طاهر اسماعيل بن محمد ، ولقد ذكر له ابن حجر فى كتابه « التجريد » وابن أبى الصلت فى « الرسالة المصرية » والسلفى فى معجمه وابن الزبير فى كتابه « جنان الجنان ورياض الأذهان » وابن شاكر الكتبى فى « فوات الوفيات » ثم العماد الأصفهانى فى كتابه « خريدة القصر وجريدة أهل العصر » حين ترجموا له شعرا كثيرا ، منه متغزلا :

رقّتْ معاقد خصره فكأنها
مشتقة من تيهه وتجلّدِ
وتجعّدت أصداغُه فكأنها
مسروقةٌ من خلقه المتجعّدِ
ما باله يجفو وقد زعم الورى
أن الندى يختص بالوجه الندى
لا تخدعنّك وجنة محمرة
رقّت فى الياقوت طبع الجامدِ

وله فى هذا المعنى أيضا :

أعاذل ما هبّت رياح ملامة
بنار هوى إلا وزادت تضرّما
فكلى إلى عين إذا جف ماؤها
رأت من حقوق الجدّ أن تذرف الدّما
فكم عبرة أعطت غرامى زمامها
عشية أعملن المطىّ المزمما
فلله قلب قارعته همومه
فلم يبق حدٌّ منه الا تثلما

ويقول فى هذا أيضا :

بنفسى خيال زار وهو قريب
أحقا عليه فى المنام رقيب

سرى وغدير الليل طامن جمامه
وللشُهب فيه طفوة ورسوب
وقد أعجلته للصباح التفاتة
فلم تك إلا خفقة وهبوب

هذا قليل من كثير مما أوردته المراجع لابن مكنسة ، مما جعلنى أصفه بشاعر الإخاء ، وله شعر كثير لم تذكر منه المظان المختلفة إلا القليل . ولكن هذا القليل يدل على كثير ، لم نستنتج هذه استنتاجا ، وإنما أشارت إليه المراجع . ولكنها للأسف ، المراجع التى افتقدناها والتى منها : الحديقة لابن حجر ، وجنان الجنان لابن الزبير .

وهذا القليل المذكور من هذا الكثير الذى غُيّب عنا لغياب مراجعه كان فى أبى المليح حماتى ، جد أبى المكارم أسعد بن الخطير أبى سعيد مهذب بن مينا بن زكريا صاحب المصنفات المعروفة .

مدح ابن مكنسة لأبى مليح حماتى :

وكان أبو المليح حماتى هذا نصرانيا ، وقد عقدت الصداقة بينه وبين شاعرنا ابن مكنسة ، وعاش شاعرنا ابن مكنسة بباب أبى مليح يمدحه ويطريه ويعدد فضله ويذكر بره به .

ولقد أكثر ابن مكنسة فى مديح أبى مليح حماتى ، وكان لأبى مليح حماتى بستان بظاهر القاهرة ، وكان مجاورا لجامع راشدة الحاكمى ، وكانت له منظرته المعروفة بالنزهة ، كما كان له البئر الموصوف ماؤه بشدة الحلاوة والعذوبة فى الصيف حتى أن صاحب قصر الحكمة كان يرسل من يأخذ من مائها الشربه . وفى هذه البئر يقول ابن مكنسة يصفها ويصف المنظرة :

ومن عجائبها البئر التى انفردت
بالقر فى الحر والأمواه تضطرم
كأنما ماؤها فى كل هاجرة
ريق الحبيب عقيب الهجر وهى فم

وهذا الشعر الكثير من ابن مكنسة فى مدح أبى مليح حماتى لاشك أوغر صدر الأفضل شاهنشاه لا لأن أبا مليح من النصارى . كما يظن البعض . بل لما ركب فى طبع الملوك والأمراء من غيرة على من يصرف الشعراء عن مدحهم الى مدحه .

الوحدة الوطنية قديمة :

أقول هذا لأنتهى إلى أن الأخوة بين مسلمى مصر وأقباطها كانت قديمة تضرب فى القدم بعرق طويل . لافرق عند المصريين جميعا بين أخ مسلم وأخ قبطى ، بل كان الدين عندهم لله والوطن للجميع .

الدين صفة خاصة والوطن صفة عامة
كن من تكون دينا فلا اختلاف بين
المصريين فى هذا .

ولكن لا تكن إلا مصريا مادمت قد نشأت على أرض مصر .

بهوائها تنشقت وبمائها رويت ومن ترابها غذيت .

ولقد ظل حبل ابن مكنسة بحبل أبى مليح حماتى موصولا حياتهما ، ويشاء القدر إلا أن يموت

مماتى قبل ابن مكنسة ، فلم يبخل ابن مكنسة على أن يرثيه ميتاً ، كما قد مدحه حياً ، لم تمنعه من ذلك غيرة الأفضل شاهنشاه .

ولو أن هذا الإخاء الذى ربط بين ابن مكنسه المصرى المسلم: وأبى مليح مماتى المصرى القبطى كان لغرض أو شهرة لحمد لسان ابن مكنسة عن أن يرثى صديقه أبى مليح مماتى بعد مماته .

الوفاء والاخاء :

وما من شك فى أن هذا الوفاء وذاك الإخاء من ابن مكنسة لصديقه أبى مليح مماتى بعد مماته وما قال فى رثائه مما نفخر به نحن المصريين جميعا ونعده رمزاً باقياً لذلك الإخاء ، فاقرأ معى قول ابن مكنسة فى رثاء أبى مليح لتؤمن إيمانى أن ابن مكنسة كان شاعر الإخاء حقاً، يقول :

طويت سماء المكرما
ت وكوّرت شمس المديح

ماذا أرجى فى حيا
ة بعد موت أبى مليح

ماكان بالنكس الدنـ
ـىّ من الرجال ولاالشحيح

وبعد فكم كنا نحب أن نطالع القراء بهذا الكثير من شعر ابن مكنسة فى هذا الغرض النبيل لولا غيبة تلك المراجع عنا كما كنت أحب أن أذكر شيئاً عن تكنيته بابن مكنسة ولكن لم يعرض لهذا مرجع من المراجع التى ترجمت له ، غير أنه إن فاتنى هذا وذاك فلا أحب أن يفوتنى أن أعرض لذكر تلقيب المراجع له بالقائد ، فهى حين ذكرت ذلك لم تحـدثنا ، فى ثنايا كلامها التى ترجمت له به أنه ولى قيادة الجيش غير أنها تذكر وهى تقدم لقصيدة من قصائد ابن مكنسة فتقول:

قال أبو الطاهر من قصيدة وقد عزم عليه بعض الأمراء فى المسير معه إلى الشام لقتال الغُزّ ، أولها :

غير عاص عليك تقويم عودى
فانقصى من ملامتى أو فزيدى
قل لمولاى إذ دعانى لأمر
قمت فيه له مقام العبيد
ضعفت حيلتى وقلّ غنائى
وَدَنَتْ غايتى ورثّ جديدى

إلى أن يقول :

وكأن بى على بعيرى ترانى
آخر الناس فى لفيف الحشود

أسود الوجه ناظر فى أمور
معضلات من الحوادث سود
فأقلّنى عثارها وابق للحم
ـد وكبت العداوة وغيظ الحسود
فأنت ترى معى من أبيات ابن مكنسة
هذه أنه لا قبل له بالحرب ، وأنه

كان لا يحب أن يقحم نفسه فى غمارها ، وأكاد أذهب إلى أن تلقيبه بالقائد كان من قبيل التهكم ، اللهم إلا إذا كان المراد به القائد فى ميدان الأدب لا فى ميدان الحرب .
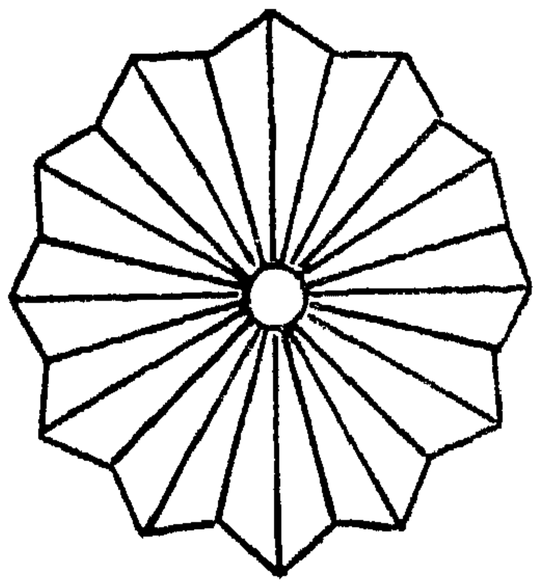
محمد قنديل البقلى